الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

# المنطلقات العقدية لنظرية النّظم

## عبد القاهر الجرجاني "أنموذجا"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها
تخصص : أدب قديم ونقده

إعداد الطالبتين:
ضيف دلال
حميدة أم الخير

إشراف الأستاذ:
د:بوشيبة بو بكر

السنة الجامعية :
(2015/2014)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية الآداب واللغات والفنون قسم اللغة العربية وآدابها

# المنطلقات العقدية لنظرية النّظم

## عبد القاهر الجرجاني "أنموذجا"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها
تخصص :. اللغة العربية وعلوم اللسان

أعضاء لجنة المناقشة :

د/.....رئيسا
د/.....مشرفا و مقررا
د/.....عضوا ممتحنا

السنة الجامعية :
(2015/2014)

## المقدمـــة

لقد خص الله سبحانه وتعالى العرب بالقرآن الكريم – النص الخالد المعجز – الذي لم تنبض عجائبه ولن تنقضي حتى يرث الله الأرض و من عليها ، وذلك بعد أن خص لغتهم بخصائص جعلها أهلا لإستعاب هذا الكلام ليس كلام بشر ولا يمكن إلا أن يكون من لدن حكيم عليم .

فأدرك الأولون الذين نزل القرآن بلغتهم إعجازه الذي هو دليل على صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، فآمن به من شرح الله صدره للإسلام , وكفر به من جعل الله صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء .

فكان القرآن خطابا غير العالم كله وهو ثابت لم يتحول، يدل بما حواه من أسرار وجمال على عظمة الله تعالى.

ولقد بذل العلماء قصارى جهدهم في بيان إعجازه وكشف أسراره ، والرد على الطاعنين فيه ودحر حججهم الواهية خاصة بعد أن بدأت العجمة تغزو ألسنة العرب، فكانت الدراسات الإعجازية بمختلف انتماءاتها الفكرية والعقدية ، بداية لتحول جديد في تاريخ الإبداع الفكري النقدي لدى العرب، حيث جاءت غنية في مادتها جريئة في ما تطرحه، ما جعلها تشكل مادة بحثية تغري الباحث توفر له ما يسد حاجته العلمية و يشبع فضوله .

وقد كان أعلام الدراسات الإعجازية روادا في الفكر البلاغي ، والنقدي العربي بلا منازع على غرار : الجاحظ وابن قتيبة و الباقلاني والروماني والخطابي و الجرجاني وغيرهم ...

فلقد اهتم عبد القاهر الجرجاني بنظرية النظم القائمة على حسن الصياغة وتوخي معاني النحو ، فتعد هذه النظرية احدى أهم النظريات في التنظيم والبلاغة العربية التى جاءت بعد عدة نظريات سبقتها قبل الجرجاني وبعده ، فهي أفضل وأرقى ما توصلت إليه البلاغة العربية في تاريخها كله .

وهذا الثراء والتنوع في الخلفيات الفكرية والمعتقدات هو ما دفع بنا لخوض في هذا الموضوع المنطلقات العقدية لنظرية النظم " عبد القاهر الجرجاني "

أنموذجا والهدف من إنجاز هذا البحث هو اشتمال هذه النظرية – ولأول مرة في تاريخ الآداب العربية – على سائر الشروط العلمية المعتبرة ، وعلى نحو يقر بها من المفهوم الحديث للنظرية حيث يطرح العنوان مجموعة من الإشكاليات من بينها : ما هي المنطلقات العقدية لنظرية النّظم؟ ما هي أهم النظريات الإعجازية ؟ وماهية نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ؟ وهل يمكن الوصول إلى أن النظريات تمكنت من الوصول إلى سر الإعجاز القرآني ؟

إضافة إلى إشكاليات أخرى تضمنها البحث.

وقد اعترضت سبيل هذا البحث عدة صعوبات ، لعل أهمها هو اتساع المدونة ، فالبحث في جميع كتب الإعجاز القرآني ضرب من المستحيل مع مدة البحث المخصصة ، و هذا ما دفع بنا إلى القراءة السريعة المسابقة للزمن ، والتي من أثرها السيئ المرور على كثير من الأفكار الجيدة مرور الكرام وعدم إعطاء الموضوع حقه من البحث والتنقيب .

وقد اعتمدت في ذلك على أهم كتب الدارسات الإعجازية، مثل:

- تأويل مشكل القرآن و الشعر والشعراء لابن قتيبة
- البيان والتبيين والحيوان للجاحظ
- بيان إعجاز القرآن للخطابي
- النكت في إعجاز القرآن للرماني
- إعجاز القرآن للباقلاني
- أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.
- إضافة إلى بعض المراجع المختلفة.

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي ،الذي رأينا أنه يخدم أراض الموضوع وأهدافه فجاء البحث في ثلاث فصول كالآتي :

***الفصل الأول:*** الإعجاز القرآني ( النشأة والتطور )، وضم العناصر التالية: ، الإعجاز القرآني تاريخه ونشأته ، نشأة الإعجاز وتطوره ، أهم وجوهه ونظرياته ، بيان منهج دراسي الإعجاز ونقده .

**الفصل الثاني** : التوجه العقدي للدراسات الإعجازية ، وضم العناصر التالية :

- الإعجاز لدى المعتزلة ، الرماني ، القاضي عبد الجبار ورأيه في الإعجاز ، الإعجاز لدى الأشاعرة ، لخطابي ووجه الإعجاز الباقلاني ونظرية الإعجاز

**أما الفصل الثالث و الأخير** : المنطلقات العقدية لنظرية النظم عند الجرجاني فكان اهتمامه بـــ :

- نظرية النّظم ، المنطلقات الاعتزالية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، المنطلقات الأشعرية لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

لذلك لولا رعاية الله عز وجل وعونه لنا ثم أن سخر لنا أستاذنا المشـــرف : د بوشيبة بوبكر ، ما كان لهذا البحث أن لينجز , فلله الحمد أولا وجزا الله عنا أستاذنا خير جزاء ، حيث كان لنا نعم السند طيلة هذا البحث ، بنصائحه و توجيهاته القيمة ، وكذلك دفعه المعنوي وصبره الطويل علينا كما نشكر كل من مد لنا يد العون لإتمام هذا البحث.

والله المستعان

## عبد القاهر الجرجاني

تميز القرن الخامس الهجري بنضج العلم و التأليف و الإبداع،حيث تكاملت شتى علوم العربية من نحو و بلاغة و فقه و نقد و غيرها و جمعت فيه كل دواوين الشعر و ألفت فيه المعجمات و دونت المفردات ، كما برزت فيه طوائف مختلفة من متكلمين من أشاعرة و معتزلة هؤلاء الذين عالجوا مختلف القضايا العلمية و الأدبية و الدينية بمنطلق العقل و الاجتهاد معتمدين في ذلك على حرية الإدلاء بآرائهم و حق مناقشتها و الدفاع عنها.

ومن أهم ما تميز به هذا العصر ولادة نادرة البطون ،و نابغة البلغاء و رئيس حلبة الفصحاء ،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، الذي ولد في شمال إيران بين طربسان و خرسان ، قرب بحر الخرز و هذا سبب نسبته إلى جرجان فقيل الجرجاني.

ولد بجرجان و نشأ فيها و نهل مختلف العلوم في بلدته ، لزم أستاذه أبا الحسن بن عبد الوارث الفارسي النحوي (ت 421 ) و هو ابن أخت العلامة أبي علي الفارسي و كان يعد إمام النحاة بعده ، فعكف على دروسه و أخذ عنه كل علمه ، ولم يذكر أنه خرج من بلدته جرجان إلى غيرها ، حتى توفي فيها سنة ( 471 ) و أما سنة ولدته فبقيت مجهولة ، وبعد أن أتم تعلمه اشتغل بالتدريس في بلدته و روي أنه برز في ميدان الشعر أولا ، و حاول التكسب به إلا أنه لم يظفر برضا الملوك و الأمراء ، فمال إلى التأليف و التدريس محاولا الإبداع فيها.[1]

كان عبد القاهر الجرجاني شافعي المذهب أشعري الأصول ،حيث طبق الكثير من مبادئ الأشاعرة في الاجتهاد و الجدل و مناقشة المفاهيم على مؤلفاته و بدأ ذلك في كتابه (أسرار البلاغة )و (دلائل الإعجاز) اللذين برزت شهرته من خلالهما،

[1] - أبو الحسن علي بن يوسف القحطي ، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج2، دار الفكر العربي القاهرة ، ط1،1982 ص 188

وأثبت فيهما مدى تمسكه بدينه و اعتزازه بالكتاب و السنة و اعتبارهما قدرة كل مقتدر ، كان الإمام عبد القاهر مصنّفا مكثرا و جل مؤلفاته في النحو و لكن فيهما مختارات و عروض و إعجاز و أكثرها مخطوط عدّ بكتابه (دلائل الإعجاز) من أبرز النقاد في تاريخ الأدب و أثبت ببراعته أنه صاحب نظرية علمية دقيقة ، كان هدفه الأساسي منها بيان مدى إعجاز القرآن، الذي بلغ أعلى درجات الفصاحة و البلاغة، فكانت بذلك دلائله عصارة فكره و غاية جهده.

**أساتذته:**

لقد كان من حسن الطالع لعبد القاهر أن تتلمذ على يد أستاذين كبيرين من أعلام النحو ألا و هما:

- أبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث النحوي الفارسي ، نزيل جرجان و المتوفي سنة ( 421 )، وأبو الحسين هذا تتلمذ على يد خاله الشيخ أبي علي الفارسي (المتوفي سنة 377ه ) و هو صاحب كتاب ( الإيضاح) في النحو، وقد أجمعت كتب التراجم على أن عبد القاهر أخذ النحو عن الشيخ أبي الحسين ، ويبدوا أن أبا الحسين قرأ كتاب الإيضاح لتلميذه عبد القاهر، الذي عنى بهذا الكتاب عناية بالغة ، فقد وضع عليه شرحا كبيرا ، وسماه (المغنى) ثم اختصر هذا الشرح في كتاب آخر سماه (المقتصد) في نحو ثلاث مجلدات.

- أبو الحسن علي بن العزيز بن إسماعيل بن الحسين بن علي الجرجاني (ت 392 اغترف عبد القاهر من علمه و بحره ، غير أن بعض المؤرخين يشككون في ذلك لاعتبارات زمنية ترجح عدم إمكانية ذلك.[1]

هذا فضلا عن اطلاعه على المؤلفات النحوية ذات الطابع الأصيل في قواعد النحو و أصوله، الأمر الذي جعل عنده ملكة الاقتدار على النّظم الدقيق، و الإسهاب في

[1] -كمال الدين الأنباري ،نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار الزرقاء الأردن ،ط3،1405هـ-1985م،ص 453.

قواعد النحوية ، بعد أن ألف فيه مصنفات، و كان من ثمار ذلك ما خلفه من ثقافة واسعة ، فتحت آفاقا جديدة أمام المشتغلين في حقلي النقد و البلاغة ، فدعما قضاياهم ، وأخذوا ضوابطهم من محيط فلسفته النحوية.[1]

**علمه و فضله و شهادة العلماء له**

لقد بلغ عبد القاهر مبلغا كبيرا ،جعل العلماء يفيدون إليه و ينتفعون بعلمه فاشتهر و ذاع صيته في الأفاق ، وشدت إليه الرحال ، وقصده طلاب العلم من جميع الأرجاء، الأمر الذي جعلهم يهتمون بمؤلفاته و يعكفون على شرحها و التعليق عليها، فكتابه (الجمل) اهتم بشرحه أكثر من خمسة عشر علما من أعلام العربية ، و كذا كتابه (العوامل المائة ) شرحه زهاء ثلاثة عشر علما ، فضلا عن مؤلفاته النحوية ، هذا ولقد شهد له العلماء و أصحاب كتب التراجم ، فأبرزوا مؤلفاته النحوية و غيرها و عدوها من التصانيف الجليلة ، وذكروا له بعض الأبيات من الشعر ، قالها في مناسبات مختلفة ، و شهدوا لها بالبراعة ، وسعة الأفق. [2]

وقالو: أنه كان يلقب بالنحو فعدوه من أئمة كبار النحو و اللغة ، حتى قال عنه صاحب (طبقات المفسرين) أنه لم ير له شبيها في النحو ، وبذلك صار الإمام النحوي المشهور ، المقصود من جميع الجهات فصار إمام عصره في النحو هذا بالإضافة إلى ما ذكره عنه بعض المؤرخين أنه مؤسس علم البيان يقول عنه يوسف بن تغري البردى :

"أنه النحوي اللغوي ،شيخ العربية، كان إماما مقننا إنتهت إليه رئاسة النحاة في زمانه".[3]

---

[1] – كمال الدين الانباري ، المرجع السابق ص 453

[2] – أحمد الداوودي شمس الدين ، طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية 1403هـ–1983، ط1 ، ص 140

[3] – كمال الدين الانباري ، المرجع السابق ، ص 140

**تلاميذه**

تتلمذ على يد عبد القاهر الكثير من طلاب العلم، وكان من أبرز هم في علم النحو:

-علي بن زيد الفصيحي النحوي، ورد إلى العراق، وتصدر حلقات العلم ، فاستفاد منه طلاب العلم كثيرا .

- أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري النحوي، الفقيه، قرأ على عبد القاهر كتاب (المقتصد الذي ألفه عبد القاهر اختصارا لكتابه ( المغنى) في شرح (الإيضاح) لأبي الفارسي، قراءة ضبط و تحصيل.[1]

**مذهبه النحوي**

إن جميع الكتب التي ترجمت لعبد القاهر لم تصرح بمذهبه النحوي و لكن هناك من القرائن ما يدلنا عليه وهي:

أن المستعرض لكتابه (دلائل الإعجاز يجد أنه يذكر سيبويه كثيرا يسترشد بآرائه بل يجعلها في كثير من المواضع أصلا ينطلق من خلالها، ويدعم بها قضاياه و كان يستشهد بكثير من آراء نحاة البصرة مثل أبي الحسن الأخفش و الزجاج و ابن سراج...[2]

-لقد تتلمذ على يد أبي الحسين الفارسي ، وأبي الحسين هذا تتلمذ على يد خاله أبي علي الفارسي ،و أبي الحسين هذا تتلمذ على يد خله أبي علي الفارسي الذي يعد من مؤسسي المذهب البغدادي ، و من أئمته ، وعلى الرغم من كونه تتلمذ على يد بعض نحاة البصرة كابن سراج و الأخفش الصغير و الزجاج وغيرهم ،و كذلك حضر حلقة أبي بكر بن مجاهد تلميذ الثعلب ، و شيخ القراء في عصره إلا

[1] – – أبو الحسن علي بن يوسف القحطي ، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، مرجع سابق، ص 189

[2] – فؤاد علي مخيمر مخيمر ، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، 1983 ص 14

أن نزعته كانت بصرية تميل إلى المذهب البصري في الكثير الغالب ، و لا يغيب عنا أن عبد القاهر تتلمذ على مؤلفات أبي علي النحوي.

"إذا تأملنا في عرض عبد القاهر لبعض مؤلفاته التي استطعنا الاطلاع على بعضها نجد أنه في منهجه و عرضه يتفق مع المذهب البصري، لذلك يمكننا أن نقول: أن عبد القاهر على الرغم من كونه تتلمذ على يد النحاة ببغداد ومؤلفاتهم إلا أنه قرأ كتب النحو البصري، وتفحصها، و أخذ زبدتها، و كانت جذورا لفلسفته النحوية في كتاب (دلائل الإعجاز). [1]

**مذهبه الفقهي و الاعتقادي:** لقد أجمعت كتب التراجم على أن عبد القاهر شافعي المذهب ، متكلم عن المذهب الأشعري ، الأمر الذي يعطينا دلالة واضحة على أنه كان فقيها عالما بالفقه الشافعي، وأنه من المتكلمين على أصول المذهب الأشعري ، حيث اعتدال العقيدة ، مما ساعده على الوقوف بجانب الحق ، والدفاع عن القرآن الكريم ، بمنهج فلسفي منطقي بعيد عن الجدل، الذي يدفع المتكلم أحيانا إلى التعصب.[2]

**وفاته:**

ظل عبد القاهر الجرجاني مقيما بجرجان يفيد الراحلين إليه و الوافدين عليه و يصنف الكتب حتى أدركته المنية، فتوفي بجرجان سنة ( 471) و هكذا طوى الزمان صفحة من صفحاته المضيئة تقرأها الأجيال على مر العصور بما خلفه من آثار قيمة من تراثه العلمي الذي نهل و ينهل منه الدارسون إلى يومنا هذا. [3]

خلف لنا الجرجاني تراثا علميا عظيما يشهد له بالسيف و الريادة و يمكن تصنيف هذه التأليف **على نحو الآتي:**

---

[1] – فؤاد علي مخيمر مخيمر ، المرجع السابق ، ص 14

[2] – فؤاد علي مخيمر مخيمر، المرجع نفسه ، ص 14-15

[3] –فؤاد علي مخيمر، مرجع سابق ، ص 15

**في علوم البلاغة:**

- دلائل الإعجاز (مطبوع ).
- أسرار البلاغة (مطبوع ).
- مختار الإختيار في فوائد معيار النظائر في المعاني و البيان و البديع و القوافي (مفقود).
- طرائف الأدبية مطبوع.[1]

**في القرآن:**

-تفسير سورة الفاتحة (مفقود).

- إعجاز القرآن الكبير إعجاز القرآن الصغير (مفقودان).
- المعتضد في شرح إعجاز القرآن للواسطي (مفقود).
- درج الدرر في تفسير الآيي والسور (مفقود).
- الرسالة الشافية (مطبوع).[2]

**في علم النحو:**

- كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، ولم يصلنا منه غير" المقتصد" وهو(مطبوع).
- الجمل و يسمى "الجرجانية" (مطبوع).
- التلخيص في شرح الجمل ( مفقود ).
- العوامل المائة ( مطبوع ).
- التتمة في النحو (مطبوع ).
- ستة أبيات في فعل الأمر الباقي على حرف واحد ( مطبوع ).[3]

[1] - أبو الحسن علي بن يوسف القحطي ، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، مرجع سابق ، ص 189
[2] -المرجع نفسه، ص 189
[3] - المرجع نفسه ص 189

**في علم الصرف:**

- المفتاح في الصرف.
- العمدة في التصريف.
- المقتصد في شرح التكملة.
- كتاب في العروض. [1]

**صفاته و مكانته:**

كان عبد القاهر من كبار النحويين و البلاغيين ، و قد تصدر بجرجان و ذاع سيته و شدت إليه الرحال و قصده الطلاب و كان إلى جانب علمه عظيم الخلق ورعا تقيا ، قال عنه الباخرزي وهو معاصر له " وقد اتفقت على إمامته الألسنة و تجمعت بمكانه و زمانه الأزمنة و الأمكنة ، وأثنى عليه طيب العناصر ، فهو فرد في علمه الغزير، بل هو العالم الفرد في الأئمة و المشاهير و قد أفادني الشيخ من كريم مشاهدته ، و شيار لذيذ الشهد من مذاكرته أيام أسعدتني الأيام منه و لف أطناب الخيمتين قرب الجوار ،إلا كمن ودع الماء و الخضرة ، و تدع الشعثة و الغبرة و واصل العبرة و فارق الوطن.[2]

**تأثر عبد القاهر الجرجاني بأقوال القاضي عبد الجبار:**

من المسائل الفريدة التي لفتت نظر الباحثين في كتاب دلائل الإعجاز مسألة التأثر بقاضي القضاة الشيخ عبد الجبار المعتزلي صاحب "المغنى"، و كان أول من أشار إلى هذا التأثر المحقق محمود شاكر في مقدمة تحقيقه ، وكانت إشارته مقتضبة ، أبان فيها أن عبد القاهر الجرجاني عرّض في كتابه بعبد الجبار ، ورد عليه وعلى أتباعه من المعتزلة ، ووضع الشيخ شاكر يده على نصين نقلهما من كتاب "المغنى" دون عزولهما و إنما أسندهما إلى قوم يقولون بذلك

[1] - أبو الحسن علي بن يوسف القحطي ، المرجع السابق ، ص 189

[2] - فؤاد علي مخيمر مخيمر ، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز، ص 190

و السؤال الذي أرق الباحثين طلب إجابته هو: مدى صحة هذا التأثر؟ و هل إطلع عبد القاهر على كتاب "المغنى"؟

و اللافت للنظر أن النصين أن النصين قد نقلهما بصورة مختزلة ، وكلاهما من قول القاضي عبد الجبار و النصان هما:

الأول: و اعلم أن الفصاحة لا تظهر في إفراد الكلام، و إنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة)

الثاني: ( على أنّا نعلم أن المعاني لا يقع فيها تزايد، إذن فيجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عند الألفاظ التي يعبر بها عنها ).

و العبارة الثانية وردت مختصرة عند عبد القاهر بقوله (إن المعاني لا تتزايد و إنما تتزايد الألفاظ).

# الفصل الأول

# الإعجاز القرآني البياني النشأة و التطور

**المبحث الأول**: الإعجاز القرآني تطوره و نشأته

المطلب الأول: نشأة الإعجاز و تطوره

المطلب الثاني :

**المبحث الثاني**:

المطلب الأول: أهم وجوه و نظرياته

المطلب الثاني: بيان منهج دراسي الإعجاز و نقده

**تمهيد :**

لقد كان العرب في الجاهلية أهل سنان وبيان، برعوا في هذين الأمرين وكانوا يتفاخرون بهما ويتبارون فيهما.

وكانوا يعتزون بماضيهم ويحرصون على التأريخ لنضالهم، فكانت كل قبيلة تمجد شعراءها وتفخر بخطبائها لأنهم لسانها الناطق الذي ينشر مفاخرها ويتغنى بأمجادها.

فإذا بشعراءها ينالون المكانة العالية والقدر الرفيع، وازدهرت جراء ذلك سوق الأدب وبرع العرب في فنون الكلام وطرق البلاغة والبيان...حتى أصبحوا كما وصفهم محمد بن جرير الطبري بأنهم ... رؤساء صناعة الخطب والبلاغة، وقيل الشعر والفصاحة والسجع والكهانة، كل خطيب منهم بليغ وكل شاعر منهم فصيح »[1] فكان كلامهم – لما اجتمع لهم من الصفاء والنقاء والبداهة ، « أرق من الهواء وأعذب من الماء، مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها بكلمات مؤلفات، إن فسرت بغيرها عطلت وان بدلت بسواها من الكلام استصعبت، فسهولة ألفاظهم توهمك أنها ممكنة إذا سمعت، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذاطلبت ».[2] وليس ينكر أحد أن ذلك العصر هو العصر الذهبي للعربية وآدابها إذ كان ذلك تمهيدا لمعجزة الله الخالدة .وشكل القرآن الكريم أثناء نزوله صدمة كبرى لدى متلقيه الأوائل، فكان له الأثر العجيب، وانقسم الناس بين مصدق له ومؤمن به، وبين جاحد له كافر به ... لكن ما كان مشتركا بين هذا وذاك هو يقينهم أن هذا ليس بكلام البشر، رغم ما أطلقوا عليه من صفات قصد الانتقاص من شأنه والحط من قدره، وهم يعلمون برائته منها جملة وتفصيلا .

فهذا الوليد بن المغيرة حين طلب منه نفر من قريش قبيل موسم الحج أن يقيم لهم رأيا يقولون به قصد الاجتماع على كلمة واحدة في محمد (صلى الله عليه وسلم ) بعد أن ذاع خبره، فقال لهم : بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا : نقول كاهن؛ قال لا والله ما هو بكاهن؛ لقد أرينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولاسجعه، قالوا : فنقول مجنون؛ قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخلقه ولا تخالجه، ولا وسوسته قالوا : فنقول

---

[1] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تح أحمد محمد شاكر ,مؤسسة الرسالة , ط1 2000ص10.

[2] )أبو إسحاق إبراهيم إبن علي الحصريالقيرواني ,زهر الآداب وثمر الألباب، ت ح /يوسف علي طويل ،دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان 1417هـ 1997م، طبعة 1ج , 2ص (45

شاعر، قال ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول ساحر، قال : ما هو بساحر: لقد أرينا السُّحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم؛ قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وان أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته[1] ولعل هذا الرأي الذي خلص إليه الوليد، قصد به شيئين متضادين، أولهما أراد أن يرضي به الرأي العام الذي يعتقد فيه المثل الأعلى وهو طبعا لا يريد أن يفقد مكانته في مجتمعه، وثانيهما أنه تعبير لم يقصد به جعل القرآن سحر، لكنه في أثره يشبه السحر، ويمكن أن نقارن بين هذا وبين معجزة نبي الله موسى، بذلك بالمقارنة مع أثر السحر وأثر ما جاء به موسى من تغيير في شكل العصى، وهو ما لا يمكن أن يعبر عنه أي شخص عقله محدود وعجز عن إيجاد تفسير لتلك الظاهرة، إلا بقوله "إن هذا إلا سحر مبين"، وكذلك فعل الوليد، فهو لم يجد أقرب من وصف الساحر، لأثر السحر الذي وجده في هذا الكلام الذي في نظره فرق بين الأسر و فرق المجتمع القرشي، فآمن به بعضهم وكذب به البعض، فلم يجد الذين كذبوا به ما يصفوه به إلا السحر الذي أثره ما أرينا، رغم علمهم أنه ليس بسحر .

وكذلك لو تتبعنا سائر الأوصاف التي وصف بها القرآن، فهم يعتقــدون أن القرآن نابــع عنها( الجنون، الشعر)... حين يرون أثر القرآن، لكن علمهم ( بالشعر والجنون والسحر والكهانة )... يجعلهم في حيرة من أمرهم، فيصفونه تارة سحرا وتارة شعرا وتارة جنونا وتارة كهانة..ولما كان للقرآن الكريم ذلك التأثير الكبير في النفوس–كما حدث في قصة إسلام عمر بن الخطاب وهو من أشد الناس شكيمة وأصعبهم مراسا،لكنه لم يلبث إلا أن سلم زمامه لهذا الكلام العجيب .

والقصص في ذلك كثيرة تفوق الحصر – قلنا لذلك أصبح المشركون يتجنبون سماعه، كما جاء في القرآن مخبرا عنهم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[2] بل ومما يستدل به على قوة تأثيره كون الله تعالى جعل مجرد

[1] أبو عبد الملك إبن هشام إبن أيوب الحميري المعافري،السيرة النوبية ، تحقيق مصطفى السقة وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 2001 ص 106/105

[1] سورة فصلت لآية 26

سماعه حجة على أصاحبه، قال تعالى : وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾[1] ، وكذلك قوله تعالى : أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [2]،وكذلك وجود عدة قصص ثابتة عن رجال لم يزد الرسول صلى الله عليه وسلم عن قارءة القرآن على مسامعهم ثم تركهم لضمائرهم وهو الذي شهد الله له بأنه قد بلغ رسالة ربه، وقد كان المشركون يستعذبون السماع إليه ويتشوفون إليه، [3] وينقل ابن الأثير في البداية عن أن البيهقي ما نصه : « أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم ) وهو يصلي بالليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع منه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا ، وقالوا لبعضهم لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم إنصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقالوا لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود فتعاهدوا على ذلك ... ».[4]

إذا نزل القرآن على قوم هم أفصح العرب وأبلغهم، وفي حقبة من الزمان وصلت البلاغة والبيان أعلى منازلها.. فكانت الصدمة التي لحقت بهؤلاء كبيرة لعجزهم عن معرفة سر ذلك الكلام الذي ليس هناك أبلغ مما وصفه به أعداؤه. ومما زاد هؤلاء انبهارا كون القرآن نزل بلغة العرب وحروفهم وكلماتهم التي كانوا يؤلفون منها كلامهم.

---

[1] سورة التوبة الآية 06

[2] سورة العنكبوة الآية 51

[3] أبو عبد الملك إبن هشام إبن أيوب الحميري المعافري،السيرة النوبية ، تحقيق مصطفى السقة وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 2001 ص 107

[4] أبو الفدا اسماعيل بن عمرو بن كثير ، البدية والنهاية , تح علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ط1 1998 ، ج1 ص64

**1تعريف القرآن الكريم:**

القرآن لغة على وزن فعلان : لفظ مشتق من القرء ، بمعنى الجمع، يقال: قرا الشيء قرءا وقرآنا: جمعه وضم بعضه على بعض، ومنه قأرت الماء فيلحوض: جمعته . قالوا: وسمي القرآن الكريم قرآنا لأنه جمع القصص والأمر والنهي، والوعد والوعيد، أو لأنه جمع الآيات والسور . وقيل: إن هذا اللفظ – قرآن – مشتق من القارئن التي يصدق بعضها بعضا، أو يشابه بعضها بعضا، وقالوا : وكذلك حال الآيات والسور في القرآن الكريم . وقال اللحياني وجماعة من أهل اللغة : قرآن مصدر كغفران ، سمي به " المقروء " ، أي المتلو، تسمية للمفعول بالمصدر ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾[1] أي قراءته ، والمراد جبريل عليه السلام ومنه كذلك قول حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان – رضي الله عنهما :

**ضحوا بأمشط عنوان السجود به يقطـــع اليـــــل تسبحـــا وقرآنـــا**

لكن بالرغم من رجحان أصل التسمية بالعودة إلى أصل الاشتقاق، إلا أن هناك بعض العلماء، منهم الإمام الشافعي، عد هذا اللفظ اسم علم غير مشتق، خاص بكلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أراد العلماء تمييز القرآن عما سواه من الوحي: كالأحاديث القدسية مثلا، هو الكلام المعجز، المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا في تعريفه : «هو الكلام المعجز ، المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر، والمتعبد بتلاوته ».[2]

**2-نشأة الإعجاز وتطوره :**

إن الحديث عن تاريخ الإعجاز أمر لا يحتاج إلى بيان؛ فمنذ البدايات الأولى لنزول القرآن ظهر الإنبهار والدهشة على العرب ووقفوا مذهولين، فكان إعجازه يستولي على أحاسيسهم ومشاعرهم.

فكان كل من يسمعه يصاب بالدهشة ويقف مشلول الجوارح لا يكاد يرتد إليه طرف ولا يكاد ينطق إلا بما يعبر به عن ذلك الانبهار،لكن الذي نبحث عنه هنا هو متى أصبح الإعجاز مطلبا للعلماء ودراسته هدفا لهم، فالسنوات الأولى من عمر الإسلام كان الإعجاز

[1] سورة القيامة الآية 17/ 18

[2] عدنان محمد زرزور ، علوم القرآن وإعجازه – وتاريخ توثيقه دار الإعلام – عمان الأردن ط1 2005 ، ص 53،52،51

يدرك بالسليقة والبداهة ، وفي القصص التي وردت آنفا ما يدل على رجحان ذلك، لكن بعد أن دخلت العجمة إلى العرب واستولت على ألسنتهم كان الحديث عن هذا الموضوع والبحث فيه واجبا.

**2-1- .تعريف الإعجاز القرآني:**

إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة :إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم[1].

فهذا التعريف عام للإعجاز القرآني لا يتعلق بإثبات وجه من وجوه الإعجاز ولا نفيه.

ومصطلح" الإعجاز "لم يرد في عصر النبوة كما نطلقها اليوم، ولا جاء به القرآن بهذا المفهـــوم، ولم يرد- كمصطلح –إلا في القرن الثالث الهجري[2]لكن هذه الكلمة وردت بمعناها المعجمي في مواضع عديدة وبتصريفات مختلفة، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ ﴾ [3]وقوله :﴿ واعْلموا أنكمْ غيْرمعْجزي الله وأن الله مخْزي الْكافرين ﴾[4] وقوله :﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ. ﴾[5] وقد جاء في لسان العرب ، في الجذر عجز :العجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجْزا فيهما، ورجل عجزٌ وعجزٌ : عاجز . ويقال :أعْجزْت فلانا إذا ألقيته عاجزا . والمعْجزة والمعْجزة :العجز، والعجز الضعف . ويقال :عجز يعجز عن الأمر إذا قصر عنه، والمعجزة. واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام[6].وقد ورد في القرآن الكريم ما هو بمعنى المعجزة الاصطلاحي حيث جاءت لفظة "**آية**"تعبر عن هذا المعنى، يقول تعالى :﴿ في تسْع آياتٍ إلى فرعوْن وقوْمه إنهمْ كانوا قوْماً فا سقين ﴾[7] أي أنها الدليل والبرهان على صدقه، ولايمكن لبشر أن يصنع صنيعه،

---

[1] محمد حسين بن عقيل موسى ، إعجاز القرآن بين الأمام سيوطي والعلاماء , دراسة نقدية ومقارنة , دار الندلس الخضراء للنشر والتوزيع ، جدة ، ط1 ، 1418 هـــ 1997 م ، ص 53

[2] المرجع نفسه، ص 63

[3] سورة المائدة الآية 31

[4] سورة التوبة الآية 2

[5] سورة العنكبوت الآية 22

[6] جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري , لسان العرب دار صادر بيروت ، دط ، دت ، ج5 ، ص319 / 320

[7] سورة المنل الآية 12

وكذلك القرآن معجزة النبي العظما، وقد سمى المولى، عباراته بالآية لأن كلا منها حجة ﴿ الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾[1] «والمعجزة في لسان الشرع أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ، سالم عن المعارضة »[2].

والمعجزة قد تكون حسية وقد تكون عقلية، وأغلب المعجزات التي سبقت (النبي صلى الله عليه وسلم )كانت حسية تدرك بالحواس وتتحداها، لكن معجزة نبينا عقلية محضة، وتأتي المعجزة متوافقة مع جنس الأمر الذي نبغ فيه قوم ذلك النبي وبرز في عصره وفاقوا فيه سواهم من الأمم، كما حدث مع سحرة فرعون، وما كان من شأن عيسى عليه السلام وتطور الطب في زمانه، وقد شهد العصر الذي سبق بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تطورا كبيرا في علوم البيان واللسان.

لكن التحدي والدعوة إلى المعارضة وردت في آيات عديدة كقوله تعالى :﴿ قل لئن اجْتمعت الإنس والْجنُّ على أن يأْتواْ بمثْل هذا الْقرْآن لا يأْتون بمثْله ولوْكان بعْضه لبعْضٍ ظهيراً ﴾[3] بل وقد تحدى المولى المشركين إلى أقل سورة من سوره، فقال تعالى :﴿ وان كنتمْ في ريْبٍ ممّا نزلْنا على عبْدنا فأتواْ بسورةٍ مّن مّثْله وادْ عواْ شهداءكم مّن دون الله إنْ كنْتْم صادقين﴾[4] وهي الآيات التي تدل على إعجاز القرآن صراحة، فقد رفع الله التحدي أمام الإنس والجن، والتحدي قائم إلى يوم الدين، وهذا في حد ذاته معجز، فالأنبياء كلهم جاءوا بمعجزات ارتبط وجودها بحياتهم، وبعد مماتهم لم يبق إلا ذكرها وخبرها، أما القرآن فمعجزة خالدة باقية بقاء الثقلين[5].

**2-التأليف في الإعجاز:**

« لقد مضى عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية وشطر كبير من دولة العباسيين دون أن يحاول أحد التعرض لقضية الإعجاز ودلائله، ولم يكن ذلك عن تقصير في حق القرآن إنما كان إعظاما لأمره وتهيبا لمقامه، وصونا حتى أصبح هذا

---

[1] سورة يوسف الآية 1

[2] جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن تح : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، د.ط ، د.ت ج2 ، ص116

[3] سورة الإسراء الآية 88

[4] سورة البقرة الآية 23

[5] جلال الدين السيوطي ، المرجع السابق ص117

[5] محمد بن حسين بن عقيل موسى المرجع السابع ص 58

لذاته أن يكون غرضا للآراء والأهواء ومجالا للجدل والخلاف »،[1] حتي أصبح هذا الأمر ضروريا في نظر بعض العلماء بعد أن بدأت الفتوحات الإسلامية تتسع وأخذت الثقافات الأخرى تغزو العرب فبدؤوا يتأثرون بها فكريا واجتماعيا .

وكذلك تعرض الإسلام في هذه المرحلة لحركات طعن وتشكيك من أصحاب الديانات القديمة التي و جهوا فيها همهم إلى كتاب المسلمين المقدس.

فانبرى لهذه المهمة- مهمة بيان أوجه الإعجاز في القرآن –مجموعة من العلماء فكان إعجاز القرآن مسألة من تلك المسائل التي ثار حولها النقاش والجدل

. وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن سبب تأليفه لكتابه هذا فقد قال : « اعترض بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول فحرفوا الكلم عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر والحدث الغر ظهرت وعرضت بالشبه في القلوب وقدحت بالشكوك في الصدور»[2] فالفرق التي في القرن الثالث الهجري جعلت أمثال ابن قتيبة يشعرون بالمسؤولية تجاه هذا الموضوع، ومثله فعل الباقلاني الذي ورد في كتابه : « ... وقدكان يجوز أن يقع ممن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن وتكلم في فؤاده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة الكلام، أن يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته والدلالة على مكانته، فهو أحق بكثير مما صنفوا فيه من القول في الخبر، ودقيق الكلام في الأعراض، وكثير من بديع الإعراب وغامض النحو، فالحاجة إلى هذا أمس والاشتغال به أوجب ».[3]

كما يبين بعد ذلك خطر الإعراض والتقصير في هذا الباب والإنصراف عنه وأنه قد يفتح الباب أمام المذاهب الباطلة المتصدية للقرآن فيقول « وقد قصر بعضهم في هذه المسألة، حتى أدى ذلك إلى تحول قوم منهم إلى مذاهب البراهمة فيها »[4].

---

[2] عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تح : السيد أحمد سقر ط2 1973 ص 17

[3] أبوبكر محمد بن الطيب البقلاني ، إعجاز القرآن ، تح أحمد سقر ، دار المعارض مصر ، د.ط .د.ت ص 6

[4] الباقلاني ، المصدر السابق ، ص 6

**2-3-أهم المؤلفات التي عنيت بالإعجاز:**

لقد كان كتاب أبي عبيدة عمرو بن المثنى **مجاز القرآن** أول دراسة قرآنية تناولت الكتاب الكريم بلاغيا يعرض لطرق التعبير القرآني ليعرضها على ما للعرب من فنون في التعبير، فلايجد لها مثيلا فيه، ليدل بذلك على عربية القرآن وفصاحته، وأنه لم يأت بغريب في التعبير لم تألفه العرب .لكن من الواجب القول أنه ليس كتابا مختصا في إعجاز القرآن.

لكن إجماع العلماء على أن الجاحظ ت (255 هـ ) هو أول من تعرض لمسألة الإعجاز بتفصيل كبير لم يسبق إليه، وهو وإن ضاعت معظم كتبه إلا أن أفكاره حفظت من بعده ونقلها عنه الكثيرون.

وهي في رسالته" حجج النبوة "يفصل في هذه المسألة ويجعل الإعجاز موضوعا لبحثه ودارسته، وتناقل العلماء آراءه بعده.

ومن أهم المؤلفات التي عنيت بالإعجاز القرآني نجد:

-تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ت (276هـ)

-إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه لمحمد بن زيد الواسطي ت (306 هـ) وهو كتاب مفقود

- "نظم القرآن "لأبي بكر السجستاني ت (316 هـ) وهو كتاب مفقود أيضا

-نظم القرآن لأبي زيد البلخي ت (330 هـ) وهو مفقود

-نظم القرآن لابن إخشيد ت (360 هـ) وهو مفقود

-إعجاز القرآن للباهلي (لم يذكر تاريخ وفاته)

-نظم القرآن لأبي علي الحسن بن علي نصر( لم يذكر تاريخ وفاته)

-النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ت (384 هـ)

-بيان إعجاز القرآن للخطابي أبي سليمان حمْد بن محمد بن إبراهيم البستي ت (388 هـ)

-إعجاز القرآن للباقلاني ت (403 هـ)

-إعجاز القرآن للقاضي عبد الجبار ت (415 هـ)

-الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة) للشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي ت (436 هـ)

-دلائل الإعجاز والرسالة الشافية في الإعجاز للجرجاني ت (417 هـ)

-نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز لفخر الدين الرازي ت (606 هـ)

-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للإمام يحيى بن حمزة العلوي ت (745هـ )

-معترك الأقران في إعجاز القرآن للإمام السيوطي ت (911 هـ)[1]

**3-أهم وجوه الإعجاز:**

لقد شكل النص القرآني كما قلنا سالفا محور إهتمام العقول والقلوب، ولم يكن أمره يعني طائفة دون أخرى، ولا مدعاة للريب في ذلك فهو رسالة سماوية موجهة للبشرية جمعاء ولم تختص بها الأمة العربية وحدها.

ولما كان هذا الدين عالميا ﴿ ومأرْسلْناك إلاكافةً لِّلناس ﴾[2] وكان القرآن هو الشريعة والمنهاج المبين والموضِّح لتعاليم هذا الدين، وكان يمثل الحجة الباقية، كان لزاما على جميع المنتسبين لهذا الدين أن يلتفوا حول هذا الكتاب ويقرؤوه ويتدبروه بأمر من الله سبحانه وتعالى، وبطبيعة الحال كان أثره في المتلقين ووقعه من الأفهام يختلف من فرد إلى آخر حسب متغيرات عديدة لعل أهمها العقائد التي ظهرت جراء تمازج الأمة العربية بالأمم الأخرى التي كانت لها عقائد سابقة وديانات أخرى كان التجرد منها كلية أمرا صعبا على الكثير من الذين تنازعتهم الأهواء ومالت بهم عند مناقشتهم لمسائل متعددة في الدين، ونتيجة لذلك فقد ظهرت عدة آراء وأقوال في هذا الكتاب المقدس.

وقضية الإعجاز هي مما لا يختلف فيه إثنان، لكن مواطن الإعجاز هي التي كانت محل جدل بين المشتغلين على هذا الكتاب.

لذلك فقد ظهرت عدة تصورات للإعجاز تكاد تتسع دائرتها بالقدر الذي لا يمكن حصره، فهناك الإعجاز البلاغي والإعجاز البياني والإعجاز اللغوي، والإعجاز التشريعي والإعجاز العلمي، والإعجاز الكوني، والإعجاز القصصي والإعجاز الحواري والإعجاز العددي، والإعجاز التربوي، والنفسي، والطبي، وهناك من قال بالصرفة...وغير ذلك من

[1] ينظر : محمد بن حسين عقيل موسى ، المرجع السابق ، ص 79 / 91

[2] سورة سبأ الآية 28

وجوه الإعجاز التي إن دلت إنما تدل على عظم هذا الكتاب واحتوائه جميع علوم البشر وعقولهم وعدم احتوائهم له ولعلومه[1].

**3-1-الإعجاز بالصرفة:**

أول من جاء بهذا الراي إبراهيم النظام المعتزلي ت (200هـ) الذي ينكر كون نظم القرآن وحسن تأليفه معجزة للنبي ودلالة على صدقه، يقول النظام : « إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي- عليه السلام –ولا دلالة على صدقه في دعواه للنبوة، و إنما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف »[2]، ويقول في موضع آخر ما يطابق الكلام السابق «...الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار بالغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم »[3] فوجه الإعجاز لدى النظام ليس بلاغة القرآن ولا عجيب تأليفه بل فيما احتواه من علوم غيبية لا سبيل للبشر في الوصول إليها، وكذلك يظهر الإعجاز في صرف العباد عن معارضته .فعجز البشر عن المعارضة ليس نابعا من عدم مقدرتهم على الوصول إلى مرتبة بلاغة القرآن بل عجزهم ناتج عن صرف الله تعالى لهم وأنه سلبهم العلوم التي لابد منها للإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه .

وليس النظام وحده من يقول بهذا الرأي، فهذا الجاحظ يربكنا بمقولة له تتوافق مع فكرة الصرفة وتتعارض مع عديد أقواله التي ترى بأن إعجاز القرآن في بلاغته ونظمه، يقول الجاحظ - وليس بنفس صراحة أستاذ وجرأته: «... ومثل ذلك مارفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول- صلى الله عليه وسلم –بنظمه، ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القضية على الأعراب ، وأشباه الأعراب، والنساء

---

[1] علي بن اسماعيل الأشعري ، مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلبين , تح هلموت ريتر ، دار إحياء التلاث العربي بيروت ط3 ص 220

[2] نفسه ص 225

[3] عبد القاهر بن الطاهر بن محمد بن البغدادي أبو المنصور الفرق بين الفرق وبيات الفرقة الناجية ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط2 ، 1977 ، ص 128

وأشباه النساء، ولألقى ذلك للمسلمين عملا ولطلبوا المحاكمةوالتراضي ببعض العرب ولكثر القيل والقال » [1].

وفي تحليلنا لقول الجاحظ يمكن أن نقول :إنه إذا كان يرجع سبب عدم الطمع فيه **(ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه )** إلى الصرف الذي ذكره في بداية الفقرة، فإنه لا محالة يرى الصرفة وجها من وجوه الإعجاز إلى جانب قوله بالإعجاز في النظم – وهذا الرأي فيه من التناقض ما فيه –واذا كان يقصد بالطمع هنا ما يقصده الباقلاني في قوله « ...وهو أن أهل الصنعة في هذا الشأن إذا سمعوا كلاما مطْمعًا، لم يخْف عليهم ولم يشتبه لديهم، ومن كان متناهيا في فصاحته لم يجز أن يطمع في مثل القرآن بحال... ».[2]

والجاحظ لو لم يكن لديه سوى هذه المقولة لوجب علينا أن نفهم منها أنه يقول برأي شيخه وأستاذه، لكن في مجموع كلامه ما يدل على رأيه الذي يخالف هذا.لكن القول الأرجح في ذلك أنه ربما يرى الوجهين معا، فنظم القرآن عنده تدخلت فيه قدرة الله تعالى، ولذلك يمكن أت تكون الصرفة في نظر الجاحظ وجها من وجوه الإعجاز فرفع مستواه عن المستوى الذي يعلم سبحانه وتعالى أن البشر لا يقدرون عليه، ومن الذين قالوا بالصرفة كذلك –وان لم تشكل رأيا وحيدا مستقلا –نجد أبا الحسن الرماني في كتابه **النكت في إعجاز القرآن** الذي ذكر فيه سبعة أوجه للإعجاز منها الصرفة[3] .

وقد ألف الشريف المرتضى كتابه" **الموضح عن جهة إعجاز القرآن** "المعروف **بالصرفة**، ويوضح رأيه فيه بالأدلة والحجج التي يراها، فينفي أن القرآن معجز بنظمه، فيقول :« والدليل على أن نظم القرآن ليس بمعجز بنفسه، أنا نعلم أن كل قادر على الكلام العربي، ومتمكن من تقديم بعضه على بعض وتأخير بعضه عن بعض، لا يعجز أن يحتذي نظم سور القرآن بكلام لا فصاحة له، بل لا فائدة فيه ولا معنى تحته، فإن ذلك لا يضرُّ ولا يخلُّ بالمساواة في طريقة النظم » [4] ثم يعقد بعد ذلك فصلا يحتج فيه لفكرة

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الحيوان ، تح ، عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت لبنان، 1416 هـ 1996 م خ4 ، ص 89

[2] الباقلاني ، المرجع السابق ، ص 42

[3] محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ط3 دار المعارف ، مصر ، ص 75

[4] الشريف المرتضي ، علي بن الحسين الموسوي ، الموضح عن جهة إعجاز القرآن – الصرفة – ، تح : محمد رضا الأنصاري القمي ، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأساتذة الرضوية المقدسة ، ط1 ، 1424 هـ ، ص 46

الصرفة التي يراها سر الإعجاز القرآني وأصله فيقول – بعد حديث طويل– « ... وفي إطباق الكل على الإمساك عن المعارضة أكبر دليل على أنهم عنها مصروفون، وعن تعاطيها منقطعون »[1] تساءلنا عن هذا الصرف، هل هو مطلق أم مقيد، هل كل الناس مصروفون عن المعارضة أم بعضهم؟ وما قوله فيمن عارض القرآن، لماذا لم يصرف عن ذلك؟ يجيب الشريف المرتضى جوابا ليس مقنعا تماما، فيقول:«... وانما صرف عندنا عن المعارضة من يحصل بمعارضته بعض الشبهة، ولهذا لم يمكِّن أحدا من الفصحاء من معارضته، مما له مع طريقته في النظم أدنى فصاحة، فأما من لا شبهة على أحد بمعارضته ولا شك لعاقل في أمره فليس في صرفه فائدة، بل تمكينه من فعله برهان على أن غيره مصروف عن المعارضة، إذ لوكانت حاله في التخلية كحاله لساواه ، في الإتيان بالمعارضة »

لكن عند مناقشتنا لهذا الكلام نجد أن مسيلمة الكذاب وهو في من أفصح العرب، عارض القرآن ولم يصرف عنه، وهو بالرغم من أنه جاء بكلام سخيف لأنه فضح نفسه بمحاولة تقليد أسلوب القرآن في النظم، والاقتباس منه، وتكرار ما جاء فيه بصيغة سخيفة ما جعل كلامه يبدو على النحو الذي علمناه من السذاجة والسخف، لكن لو تكلم مسيلمة على سجيته، لجاء بكلام فصيح كعادة العرب في زمانه، وهو سيد في قومه، وليس للسيد إلا أن يكون مقدما[2].

**في الرد على القائلين بالصرفة :**

يمكن تلخيص ردود القائلين بمنع الصرفة بمعناها الذي قال به الشريف المرتضى وابن سنان الخفاجي والنظام كما نسب إليه في النقاط التاليه:

**أولا :** القول بالصرفة يسلب القرآن مزية الفصاحة والإعجاز الذاتي بالنظم البديع، والبلاغة العالية، وهذا مخالف لإجماع الأمة قبل ظهور الخلاف أن القرآن معجز بنظمه وفصاحته، قال القرطبي: « إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزا، وذلك خلاف الإجماع، واذا كان كذلك علم أن نفس القرآن هو المعجز؛ لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة؛ إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، فلما لم يكن ذلك مالوفا معتادا منهم دل

[1] الشريف المرتضي المصدر السابق ص 97

[2] الشريف المرتضي ، المصدر السابق ، ص105

على أن المنع والصرفة لم يكن معجزا » وبذلك يصبح قولنا إعجاز القرآن تعبيرا موهما، حيث أن الإعجاز بهذا المعنى يصبح صفة لله الذي صرف العرب عن المعارضة وليس صفة متعلقة بالقرآن.

**ثانيا :**لو كانت المعارضة ممكنة لم يكن الكلام معجزا، وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره.

**ثالثا :**يلزم القول بالصرفة أن يكون « العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان، وفي جودة النظم وشرف اللفظ، وأن يكونوا قد نقصوا في قرائحهم وأذهانهم، وعدموا، الكثير مما كانوا يستطيعون... »[1] وهذا كله لم يحدث، ولو سلمنا أنه حدث وعرف العرب أنهم سلبوا علوما وقدرة كانت حاصلة لها قبل نزول القرآن، لقالوا للنبي :إنا منا نستطيع قبل هذا الذي جئتنا به، ولكنك قد سحرتنا وإحتلت في شيء بيننا وبينه فدل على فساد القول بالصرفة[2] .

**ربعا :**أن القول بالصرفة على رأي النظام، ورأي الشريف المرتضى يتعارض مع قوله تعالى :﴿ قل لئن اجْتمعت الإنس والْجنُّ على أن يأْتوا بمثْل هذا الْقرْآن لا يأْتون مثْله ولوْ كان بعْضهمْ لبعْضٍ ظهيراً ﴾[3]حيث أشار في ذلك إلى أمر طريقته التكلف والاجتهاد، وسبيله التأهب والاحتشاد، والمعنى في الصرفة لا يلائم هذه الصفة .[4]

**خامسا :**تناقض قول المعتزلة بالصرفة مع أصل **العدل** عندهم. حيث إن أصل العدل عند المعتزلة لمن تأمله يرد قولهم بالصرفة من أساسه، حيث إن تحدي الله للعرب أن يأتوا بمثل القرآن مع سلبهم القدرة أو الداعي لذلك يتنافى مع العدل الذي يراه المعتزلة أصلا من أصولهم، كما أن المعتزلة ترى أن الرب لا تتعلق مشيئته بأفعال العباد أصلا، فالعبد هو الذي يخلق فعله، وهذا من أعجب ما وقع فيه النظام وأتباعه ممن قالوا بالصرفة؛ لأن الصرفة فيها أن الله تعالى تعلقت مشيئته بالعباد هنا حيث صرفهم[5].

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح : محمد محمود شاكر ، مكتبة الخارجي ، القاهرة ، ط 5 ، 2004 ، ص611

[2] نفسه ص 612

[3] سورة الإسراء الأية 88

[4] أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ص 23

[5] عبد الرحمان بن معاضة الشهري ، القول بالصرفى في إعجاز القرآن – عرض ونقد – دار بن الجوزي ط1 ، 1436 هـ ، ص 93 – 94

**2-3-الإعجاز البلاغي( البياني):**

ونقصد بالإعجاز البياني أو البلاغي ما جعل بلاغة القرآن وبيانه وجها من وجوه الإعجاز بل أهم الوجوه وأعظمها حجة .وقد تعدد القائلون بهذا الوجه، قديما وحديثا، وإختلفت آراؤهم حتى تباينت وتشابهت حتى تطابقت، ولم ينكره إلا من قال بالصرفة لأنهم يرون أن البشر قادرين على مثل القرآن أو أحسن منه، لكن الله صرفهم عنه فكان- حسب رأيهم –بيان القرآن وبلاغته لا يمثلان وجها إعجازيا كما رأينا سابقا .لكنهم مع ذلك لا ينكرون أن القرآن في أعلى رتب البلاغة والبيان.

ما عدا ذلك فإن كل من يسمع القرآن – منذ حين نزوله –يدرك أن إعجازه في بيانه، ولو قمنا باستقراء جميع ردود أفعال الفصحاء والبلغاء الأوائل من مشركي قريش لوجدنا أن الأمر الذي صدمهم في القرآن و بهرهم هو لغته وفصاحتها وعباراته وبلاغتها، وطرق صياغة المعنى باعتماد الإيجاز وغير ذلك مما تعلق بأبواب البلاغة...

ومن أئمة هذا الاتجاه نذكر ابن قتيبة في كتابه" **تأويل مشكل القرآن** " الذي ألف كتابه ردا على الطاعنين في بلاغة القرآن ومعانيه من المعتزلة كما يظهر ذلك في مقدمة الكتاب[1]، فدرس الصور البيانية في القرآن الكريم، وقال بالتفاوت بين قصائد الشاعر الواحد وبالتفاوت بين الشعراء غير أن القرآن غير متفاوت في بلاغته رغم تنوع خطابه من تشريعي إلى قصصي إلى غير ذلك...وجاء بعده أبو الحسن الرماني الذي قسم البلاغة إلى ثلاث طبقات «... منها ما هو في أعلى رتبة ومنها ما هو في أدنى رتبة ومنها ما هو في الوسط بين الرتبتين »[2]. و أعلى رتبة من رتب البلاغة كان معجزا وهو ما لم يبلغه غير القرآن الكريم وترك للبشر الرتبتين الأخيرتين كما « نفى أن تكون البلاغة إفهام المعنى لأنه يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عي، كما رفض أن تكون بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر »[3] لكن البلاغة كما يراها الرماني هي« إيصال المعنى للقلب في أحسن صورة من اللفظ »[4] .

---

[1] ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ، ص9

[2] أبو الحسن الرماني علي بن عيسى الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص 75

[3] أبو الحسن الرماني ، المرجع السابق ص 75

[4] نفسه ص 75

ومن القائلين بهذا الاتجاه أبو سليمان أحمد بن إبراهيم الخطابي الذي يرى أن الإعجاز يكمن فيما يحتويه من « بلاغة لا تعدلها بلاغة ومن فصاحة تتقاصر الهمم دونها وتنقطع حيالها الأرواح »[1] وهو يقسم الكلام إلى ثلاثة طبقات فمنه « البليغ الرصين الجزل، ومن الفصيح القريب السهل، ومنه الجائر المطلق المرسل »[2] ويرى أن القرآن أخذ من كل قسم من هذه الأقسام، لذلك فهو يرى بالتفاوت في القرآن الكريم ...وهو لا يعني بالتفاوت هنا أن القرآن يتضمن بلاغة رديئة وبلاغة في الوسط وأخرى راقية.

ويمكن أن نذكر في هذا المجال عالما آخر آمن أن إعجاز القرآن في بلاغته وإن كان لم يؤلف كتابا خاصا بالإعجاز القرآني ألا وهو أبو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين الذي يتفق مع فكرة إبن قتيبة في أنه لا يعرف فضل القرآن إلا من « كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وإفتنانها في الأساليب »[3] فغرض أبو هلال من تأليف كتابه هو تمكين الناس من معرفة البلاغة العربية وجعل ذلك سببا في إدراك الإعجاز القرآني والوصول إلى خصائصه ومميزاته.

ومن هؤلاء كذلك الإمام الباقلاني في كتابه" إعجاز القرآن "الذي جمع فيه أغلب ما وصل إليه في الإعجاز وتناوله بالدرس والاستقراء والنقد، فنسب إلى إعجاز القرآن كل ما له علاقة بالفصاحة والبلاغة وحسن التأليف، كما قال بعدم التفاوت في الخطاب القرآني في مقابل التفاوت الذي يتميز به كلام البلغاء والشعراء على اختلاف رتبهم.

وكذلك من القائلين بهذا الاتجاه الإمام فخر الدين الرازي (543هـ)- (606هـ) الذي نفى أن تكون الصرفة وجها من وجوه الإعجاز، ثم نفى كذلك أن يكون الابتداء بالأسلوب معجزا لأنه لو كان كذلك لكان الابتداء بالشعر معجزا، وكان كل من إبتدع فنا من فنون الأدب معجزا، ثم أثبت أن الفصاحة هي سر الإعجاز، ويجعلها جامعة لكل من « حقيقة المجاز والاستعارة والتشبيه والتمثيل وحقيقة النظم والتقديم والتأخير والإيجاز والحذف والفصل والوصل وسائر وجوه المحاسن المعتبرة في النظم والنثر» [4]

---

[1] الخطابي ، المرجع السابق ،ص 54

[2] نفسه ، ص 54

[3] بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ص 12

[4] فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ، تح : مصر الله الحاجي ، دار صادر بيروت ، ط1 ، 1224 هـ – 2004 م ، ص 29

ونختم الحديث عن أصحاب هذا الاتجاه بصاحب كتاب **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الذي يبدو من خلال عنوان كتابه أنه يرى البلاغة وسيلة لمعرفة سر الإعجاز وإدراكه، يقول بعد أن مدح العلوم الأدبية مقلدًا علم البيان التاج دونها :

«... خلا أن علم البيان هو أمير جنودها وواسطة عقودها... ولولاه لم تر لسانا يحوك الوشي من خلل الكلام... إلى أن يقول :وكيف لا وهو المطلع على أسرار الإعجاز، والمستولي على حقائق المجاز»[1]

**3-3-الإعجاز بالنظم :**

لقد أرينا أن نضم أصحاب هذا الإتجاه تحت هذا الإسم مع أنهم لا يبتعدون في الرأي مع الذين جعلوا البلاغة أصل وجوه الإعجاز، ذلك أن مفهوم النظم عند هؤلاء – إذا استثنينا عبد القاهر الجرجاني– يعني عندهم التأليف، وذلك ضمن البلاغة، لكن ما دفعنا إلى ذلك هو اشتهار من جعلناهم ضمن هذا الإتجاه بكتب موسومة بالنظم.

ومن هؤلاء بداية الجاحظ الذي يعتبر أول من قال بأن النظم أساس الإعجاز، وله كتاب من كتبه الضائعة بعنوان **نظم القرآن**، وخلاصة رأي الجاحظ أن إعجاز القرآن متعلق بالقدر الكافي الذي يجعل القرآن معجزا ، فليس في الكلمات ذاتها أو في الحروف أو الجمل العادية التي يتخاطب بها البشر فيما بينهم أي إعجاز لكن الإعجاز يكمن في نظم القرآن كلا متكاملا، يقول الجاحظ «... ولأن رجلا من العرب

لوقرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة لتبين له في نظامها ومخرجها، وفي لفظها وطبعها أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها »[2] ثم يقول «...وليس ذلك– أي العجز، والإعجاز –في الحرف والحرفين، والكلمة والكلمتين، ألا ترى أن الناس يتهيأ في طباعهم، ويجري على ألسنتهم أن يقول رجل منهم : "الحمد لله "و"على الله توكلنا "و" ربنا الله "و"حسبنا الله ونعم الوكيل "

[1] يحي بن علي بن ابراهيم العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة معلوم حقائق الإعجاز مطبعة المقتطف مصر 1333 هـ ، ص 2 .

[2] عبد الكريم الخطيب الإعجاز في دراسات السابقين – دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها ، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1974 ، ص 173 .

وهذا كله في القرآن ولكنه مفترق غير مجتمع »[1] وهذا كلام يستند فيه إلى منطق سليم لكنه يعقب عليه بعد ذلك بقوله :« ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه، وتأليفه ومخرجـــه- لما قدر عليـــه - ولو إستعان بجميـــع قحطان ومعد بن عدنان »[2]

فيصبح بذلك : النظم على صورة مخصوصة وفي إمتداد رحب هو المعرض الذي تتجلى فيه روعة القرآن وتتخايل ملامح إعجازه[3].

ومن أصحاب هذا الإتجاه كذلك القاضي عبد الجبار ت(415 هـــ )صاحب كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل، الذي إعتنى بالنظم عناية كبيرة ورأى أنه المعول عليه في إقامة ميزان الكلام، وربط هذا المفهوم باللفظ والمعنى وذهب إلى أن اللفظة تخضع إلى ثلاث حالات:

1-مفهومها في ذاتها

2-مفهومها حين تتداول عليها حركات الإعراب.

3-مفهومها حين تأخذ مكانا خاصا في الكلام، فتتقدم أو تتأخر.

وزعيم هذا الاتجاه والذي تنسب إليه نظرية النظم عبد القاهر الجرجاني الذي استفاد مما وصل إليه سابقوه، لكنه أضاف الكثير من الجديد في هذا الباب - فهو يرى أنه لا مزية للمفردات في حد ذاتها، لأن الناس تواضعت عليها هكذا لمن المزية حين تضم إلى أخواتها على وجه مخصوص، فالمفردة تكون حسنة في موضع وتقبح في موضع آخر[4].

ورأى أن من الكلام ما كان جماله في صياغته دون أن يكون لمعناه فضلا يذكر، وهناك من إعتمد على ترتيب المعاني وتآخي الأفكار دون أن يسانده التأنق في اللفظ، وكلام جمع الحسنيين من جمال الصياغة وتساوق المعاني وتلاحم الفكرة. وهذا الأخير هو الذي يكون من جهته الإعجاز[5].

---

[1] نفسه ، ص 173 .

[2] نفسه ، ص 173 .

[3] نفسه ، ص 173 .

[4] الباقلاني ، المصدر السابق ، ص 91

[5] نفسه ص 92

وما ينبغي أن نشير إليه هنا هو أن الرجلين الأولين( الجاحظ والقاضي عبد الجبار) وهما معتزليان يختلفان فكرا وعقيدة عن الجرجاني الأشعري الفقيه الشافعي، ويظهر ذلك الإختلاف في دفاع الجاحظ عن الألفاظ وإهماله لقضية المعنى في حين أولى الجرجاني عناية كبيرة بكليهما، ولذلك علاقة وطيدة بمسألة خلق القرآن التي يقول بها المعتزلة والتي حاربها أهل السنة ،لذلك فإن مفهوم النظم عند كل واحد من هؤلاء يختلف في مضمونه عن الآخر، وان بدا هناك تشابه بينهما.

**3-4-.الإعجاز السردي( القصصي ) :**

لقد كان لموضوع القصة في القرآن أهمية كبرى، بدأت بمدح الله عز وجل في كتابه للقصص الواردة في القرآن وإشادته بها، ومن ذلك قوله ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[1] لكن القدماء الذين إهتموا بالإعجاز لم يتناولوا الإعجاز القصصي أو السردي في بحث مستقل ولا إعتبروه وجها مستقلا من وجوه الإعجاز، بل تناولوا بعض جزئياته تحت باب البلاغة والنظم دائما، فالباقلاني مثلا أشار إلى أن" إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا، من الأمر الصعب الذي تظهر به الفصاحة وتتبين به البلاغة، وأعيد كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة على ترتيبات متفاوتة، و نبِّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأً به ومكرورا [2] ".

لكن الإمام ابن تيمية ينفي وجود التكرار في القصص القرآني، فقال بعد ذكره لقصة موسى عليه السلام "وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن يبين في كل موضع منها من الإعتبار والإستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمي الله رسوله وكتابه أسماء متعددة، كل إسم يدل على معنى لم يدل عليه الإسم الآخر، وليس في هذا تكرار، بل فيه تنويع الآيات..." [3]

وقد تنوع إهتمام المعاصرين بالقصة القرآنية، وتناولها من عدة جوانب، وأغلب هذه الجوانب متعلقة بـــ :

---

[1] سورة يوسف الآية 3

[2] الباقلاني ، المصدر السابق ، ص 93 –94.

[3] محمد بن عبد العزيز العواجي ، إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام بن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1 ، 1427 هـــ ، ص 232 .

النسق القرآني في القصة، الخروج، لغة القصة والإعجاز القرآني، الهدف البياني من ذكر الكلمة الأجنبية في القصة القرآنية، التصوير في القصة القرآنية، رسم الشخصيات، أغراض القصة القرآنية، الحذف وصوره في قصص القرآن[1]...

**2-5-وجوه إعجازية أخرى :**

كان هناك العديد من الوجوه التي ذكرها العلماء والمشتغلين على النص القرآني، وقد ذكرت هذه الوجوه مجملة دون الإعتماد على واحد منها لدى من ذكرها كما رأينا مع الوجوه السابقة، ومن هذه الوجوه نذكر:

- ✓ الإعجاز في ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة.
- ✓ الإعجاز في توفره على الأخبار الصادقة عن الأمور الغيبية الماضية والمستقبلية.
- ✓ الإعجاز العلمي والكوني.
- ✓ الإعجاز العددي.
- ✓ الإعجاز التشريعي.
- ✓ الإعجاز التربوي .

وغير ذلك كثير من وجوه الإعجاز التي عرفت قديما وحديثا، وليس المجال متسعا لإثباتها أو نقضها.

**4-بيان منهج دارسي الإعجاز ونقده :**

لقد حاول دارسوا الإعجاز بيان ما في القرآن من وجوه إعجازية، وإنطلق كل واحد من هؤلاء من شعور كبير بمسؤولية عظمى تجاه هذا الكتاب، وقد تأثر هؤلاء الدارسون قديما وحديثا بالتوجهات العقدية والمذاهب الفكرية لكل واحد منهم، فجاءت أفكارهم مستوحاة من الفكر العام للمنهج الذي ينتسبون إليه، ولعل أهم المذاهب التي شكلت الزحمة الفكرية في العصور المتقدمة هي :المذهب الإعتزالي، والمذهب السني والأشعري، وليس المجال هنا واسعا للتفصيل في هذه المذاهب، ، لكننا نود الإشارة فقط إلى أهم القضايا التي نوقشت في هذه المذاهب التي كان لها أثر على دراسات القرآن الكريم، ولعل أهم هذه القضايا هي قضية خلق القرآن، وكلام الله عز وجل، المجاز،... وهي قضايا مرتبطة ببعضها البعض.

[1] محمود السيد محمد مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، الناشر : مؤسسة شباب الجامع ، ط1 ، 1981 ، ص 84 – 106

**1-4-حقيقة القرآن:**

اختلفت المعتزلة في كلام الله سبحانه هل هو جسم أم ليس بجسم وفى خلقه على ستة أقاويل[1]:

1 – الفرقة الأولى منهم من يزعمون أن كلام الله جسم وأنه مخلوق وأنه لا شيء إلا جسم.

2– الفرقة الثانية منهم من يزعمون أن كلام الخلق عرض وهو حركة لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة وأن كلام الخالق جسم وأن ذلك الجسم صوت مقطع مؤلف مسموع وهو فعل الله وخلقه وإنما يفعل الإنسان القراءة لقراءة الحركة وهى غير القرآن وهذا قول النظام وأصحابه ، وأحال النظام أن يكون كلام الله في أماكن كثيرة أو في مكانين في وقت واحد أو زعم أنه في المكان الذي خلقه الله فيه.

3– يزعمون أن القرآن مخلوق لله وهو عرض وأبوا أن يكون جسما وزعموا أنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه تال فهو يوجد مع تلاوته وكذلك إذا كتبه كاتب وجد مع كتابته وكذلك إذا حفظه حافظ وجد مع حفظه فهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظ والكتابة ولا يجوز عليه الانتقال والزوال.

4– والفرقة الرابعة منهم يزعمون أن كلام الله عرض وأنه مخلوق وأحالوا أن يوجد في مكانين في وقت واحد وزعموا أن المكان الذي خلقه الله فيه محال إنتقاله وزواله منه ووجوده في غيره.

5– والفرقة الخامسة منهم أصحاب معمر يزعمون أن القرآن عرض والأعراض عندهم قسمان قسم منها يفعله الأحياء وقسم منها يفعله الأموات محال أن يكون ما يفعله الأموات فعلا للأحياء والقرآن مفعول وهو عرض ومحال أن يكون الله فعله في الحقيقة لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله وزعموا أن القرآن فعل للمكان الذي يسمع منه أن سمع من شجرة فهو فعل لها وحيثما سمع فهو فعل للمحل الذي حل فيه.

6– والفرقة السادسة يزعمون أن كلام الله عرض مخلوق وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد.

[1] ابو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين ، ص 191 – 192 .

**أما أهل السنة والجماعة فيقولون** « إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنه كيفما يصرف بقراءة القارئ له بلفظه ، ومحفوظا في الصدور ، متلوًّا بالألسن ، مكتوبا في المصاحف ، غير مخلوق ، ومن قال بخلق اللفظ بالقرآن يريد به القرآن فهو قد قال بخلق القرآن »[1].

**وأما الأشعرية والماتريدية** فقالوا : كلام الله كلام نفسي بدون حرف ولا صوت ولا يتجزأ ولا يتبعض، وليس فيه أمر ولا نهي ، ولا خبر ولا إستخبار ، أما التوراة والإنجيل والقرآن فليس كلام الله على الحقيقة بل هو مخلوق وهو كلام الله مجازا لأنه دال على كلام الله النفسي.

وإختلف الماتريدية عن الأشعرية بأن قالوا : كلام الله النفسي لا يسمع ، فموسى وغيره من الأنبياء لم يسمعوا كلام الله وإنما سمعوا صوتا مخلوقا في الشجرة ، أما الأشعرية فقد قالوا : كلام الله النفسي يسمع فكلامهم هذا أبعد عن النقل والعقل لذلك قال كثير من الأشعرية إن معنى سمع كلام الله أي فهم كلام الله لعلمهم أن القول بسماع الكلام النفسي سفه وتغفيل.

فالحاصل أن الجهمية الأولى والكلابية والماتريدية والأشعرية كلهم متفقون ومجمعون على أن هذا القرآن العربي مخلوق وليس كلام الله على الحقيقة[2].

**4-2-المجاز :**

وقد صدر عن المعتزلة هذا المصطلح الذي يفسر به المعتزلة العديد من آيات الصفات، ولهذا المصطلح إرتباط بالإشكال التالي :هل اللغة إصطلاحية أم توقيفية، " فذهب قوم إلى أنها اصطلاحية، وقال غيرهم هي توقيفية، ثم خاض الناس بعد ذلك، فقال آخرون بعضها توقيفي وبعضها إصطلاحي، وقال فريق أربع بالوقف" وإنقسم الناس في المجاز إلى فرق، فمهنم من ينكر وجود المجاز بالإصطلاح الذي نعرفه وهو قسيم الحقيقة، سواء في اللغة أو في القرآن، ومنهم من ينكر وجوده في القرآن، ويرى وجوده في اللغة، ومنهم من يقول بوجوده في اللغة والقرآن على السواء .ومن المجيزين للمجاز مغالون فيه يؤولون كل شيء عن طريقه، ومنهم غير ذلك كعبد القاهر الجرجاني.

---

[1] محمد بن عبد الرحمان الخميس ، إعتقاد أهل السنة شرح أهل الحديث ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1419 هـ ، ص 65

[2] محمد بن عبد الرحمان الخميس ، المرجع السابق ، ص 67 .

# الفصل الثاني

## التوجهالعقديللدراساتالإعجازية

**المبحث الأول: الإعجاز لدى المعتزلة**

المطلب الأول:الرماني

المطلب الثاني:القاضي عبد الجبار و رأيه في الإعجاز

**المبحث الثاني: الإعجاز لدى الأشاعرة**

المطلب الأول:الباقلاني و نظرته للإعجاز

المطلب الثاني:الخطابي و وجه الإعجاز

## المبحث الأول :الإعجاز لدى المعتزلة:

المعتزلة فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني للهجرة و إزدهرت في العصر العباسي ،وإعتمدالمعتزلة على العقل في تاسيس عقائدهم وقدموه على النقل وهي تقوم على منظومة من العقائد والأفكارفي مقدمتهاالأصول الخمسة :

1-التوحيد

2-العدل

3-المنزلة بين المنزلتين

4-الوعد و الوعيد

5-الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

ومن المسائل التي توقف عندها المعتزلة غي دراستهم القرانية ،وعالجوها طويلا قضية الاعجاز القرآني فكانت من أبرز المسائل وأهمها ،وكانت هناك مجموعة من الإتجاهات يدور الحديث حولها و ذلك للكشف عن إعجاز القرآن الكريم ،وبين السر في هذا الكتاب الكريم.

1-مبدأ الصرفة :و النضام هو أول من أثار مسالة الصرفة و أدخلها في الحديث عن إعجاز القرآن الكريم و يرى المعتزلة أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن ،وكانت في مقدورهم ،لكن عاقهم أمر خارجي ،فصار معجزة كسائر المعجزات ،ولو لم يصرفهم عن ذلك ،لجاؤو بمثله[1] .

إن إعجاز القرآن الكريم متصل بقضايا علم الكلام لأكثر من سبب ،يتصل من ناحية بموضوع الإلهيات باعتبار القرآن الكريم كلام الله عز وجل، ومن ناحية أخرى يتصل بالنبوات ،وذلك لأن القرآن هو معجزة النبوة فالقرآن الكريم في نظر المعتزلة هو كلام الله عز و جل ،وكلامه إنما هو فعل محدث كسائر الأعراض،فكلام الله عندهم لا يخرج عن الصور المعقولة للكلام ،وهي أنه مركب من حروف منظومة ،و أصوات

[1]- بدر الدين الزركشي،البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط1،ج 3 ،دارالفكرلبنان 1980

مقطعة ،فآمنو بأن أسرار الإعجاز القرآني كامنة في النظم المركب من الحروف و الأصوات لهذا تم التركيز على ألفاظ القرآن الكريم و نظمه و تأليفه ،وذلك لإبراز مزايا بلاغته و فصاحته وحسن بيانه[1].

فالمعتزلة ينظرون إلى القرآن نصا دينيا مخلوقا ،فظهرت الصرفة ،وظهرت قضية تفضيل اللفظ على المعنى و سلك المعتزلة في إثبات إعجاز القرآن طريقتين:

1-طريقة عقلية :تقوم على الإستدلال بأحوال العرب الذين نزل فيهم القرآن الكريم و تحداهم، ولم يستطيعوا الإتيان ولو بأقصر سورة من مثله مع شدة حاجتهم وتوفر دواعيهم

2-طريقة بلاغية :إذ تقوم على دراسة بلاغة القرآن الكريم و ذلك من خلال التحسين و التقبيح العقليين فإذا كان القرآن معجزا من الناحية البلاغية و النظم ،فيجب أن يسلط العقل عليه من هذه الناحية حتى يتبين الإعجاز[2].

[1]- احمد ابوزيد المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن،مكتبة المعارف الرباط ط1 1982 ص 247-251

[2]- المرجع نفسه ص 255

## المطلب الأول:الرماني

يعد الرماني (المتوفي سنة 382) أحد أعلام المعتزلة في عصره ،وقد كتب رسالته (النكت في إعجاز القرآن )جوابا على سؤال لشخص طلب إليه تفسير هذه النكت في إجمال و بدون تطويل[1].

فكتب الرماني هذه الرسالة دفاعا عن القرآن الكريم ،و إبراز لوجوه الاعجاز التى تعد دليلا على الإعجاز القرآني ،وتدور هذه الرسالة حول البلاغة العربية ،ومباحثها بعامة،والبلاغة في القرآن الكريم بخاصة.

وقد حدد لنا الرماني مفهومه للإعجاز القرآني في رسالته "النكت في إعجاز القران"وهي رسالة أدبية بلاغية قيمة ،تعكس لنا تخصصه العلمي ،ومفهومه الإستدلالي التحليلي في توصيل أفكاره،فهو يقررفي بداية رسالته أن وجوه إعجازالقرآن الكريم تظهر في سبع جهات :

1-ترك المعارضة مع توفر الدواعي و شدة الحاجة

2-التحدي للكافة

3-الصرفة

4-البلاغة

5-الاخبار الصادقة عن الامور المستقبلية

6-نقض العادة

7-قياسه بكل معجزة

ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة ،فتوفر الدواعي يوجب الفعل مع الإمكان في واحد كان أو جماعة ،و الدليل على هذا أن إنسانا لو توافرت دواعيه الى شرب ماء وهو عطشان ،وهو قادر على شربه ،وكل داعي يدعو إلى مثله ،وهو مع ذلك

[1]- محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام اثر القرآن في تطور النقد العربي لى اخر القرن الرابع هجري ط3 دار المعارف ص 175

ممكن له فلا يجوز أن تقع شربة منه حتى يموت عطشا ،وذلك لتوفر الدواعي فان لم يشربه مع توفر الدواعي له ،دل ذلك على عجزه عنه ،فتوافر الدواعي عند الرماني معناه القدرة على الفعل،ولكن لم يفعل ذلك ،فهذا دليل على العجز بما أن المعارضة لم تقع.[1]

**التحدي للكافة:** فهو أظهر في أنهم لايجوز أن يتركوا المعارضة مع توافر الدواعي إلا للعجز عنها .

**الصرفة** :الصرفة عند الرماني هي صرف الهمم عن المعارضة ،وعلى ذلك كان يعتمد بعض اهل العلم في أن القرآن الكريم معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة ،وهذا خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التى دلت على النبوة .

**البلاغة**:لما كان الرماني احد المتذوقين للبلاغة القرآنية ،فقد اختص البلاغة وحدها من بين هذه الوجوه باهتمامه ،فالبلاغة عنده على ثلاث طبقات هي :

1-منها ماهو في أعلا طبقة ،وهو بلاغة القرآن الكريم .

2-منها ماهو في أدنى طبقة ،ككلام العامة من الناس.

3-ومنها ماهو في الوسائط بين أعلى طبقة و أدنى طبقة ،وهذا ممكن كبلاغة البلغاء من الناس.

**الاخبار الصادقة عن الامور المستقبلية** :وذلك عندما تبين أنها لا يجوز أن تقع على الاتقان دل على أنها من عند علام الغيوب الله عز وجل ،ومن ذلك قوله تعالى (وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم و تودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم و يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين)،فكان الامر بالوعد من الظفر بإحدى الطائفتين[2].

الطائفتين :وهي العير التى كان فيها ابو سفيان ،او الجيش الذي خرج من قريش ،فأظفرهم الله عز وجل بقريش يوم بدر على ما تقدم به من الوعد ،ويورد الرماني مجموعة من الآيات القرآنية التى تضمنت إخبار عن بعض الحوادث ،ومنه قوله تعالى:

---

[1]- محمد خلف الله أحمدو محمد زغلول سلام اثر القرآن في تطور النقد العربي آخر القرن الرابع هجري،المرجع سابق ص109

[2]- المرجع نفسه ص110

(الم*غُلِبَت ِالرُّومُ*فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِغَلَبِهِم ْسَيَغْلِبُونَ)[1]

وقوله تعالى (هُوَالَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه ُبِالْهُدَى وَدِين ِالْحَقّ ِلِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّين ِكُلِّهِ وَلَوْكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ )[2].

**نقض العادة:** إن العادة كانت جارية بضروب من انواع الكلام المعروفة ،منها الشعر،ومنها الخطب ، ومنها السجع ، ومنها الرسائل ، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث ،فجاء القرآن الكريم بطريقة مميزة خارجة عن العادة لها ،منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة ،ولو ان الوزن يحسن الشعر لنقصت منزلته في الحسن نقصا عظيما ،ولذلك من جاء بغير الوزن المعروف في الطباع ،الذي من شأنه أن يحسن الكلام بما يفوق الموزون فهو بذلك معجز.

**قياسه بكل معجزة** :يعني به أن المعجزة في جوهرها إنما تكون في أمر خارج عن العادة ،وفي عجز الناس عن معارضته،وبهذا المقياس فإن القران الكريم معجزة،سبيله في ذلك سبيل فلق البحر ،وقلب العصى حية تسعى ،وما جرى في هذا المجرى في سبيل واحد في الاعجاز إذ خرج عن العادة وقعد فيه الخلق عن المعارضة فلا يستطيع الناس ان ياتو بمثل ماجاء به موسى من قلب العصا حية تسعى ،و فلق البحر ،و قد ظهر الاعجاز في السور القصار و السور الطوال ،قال تعالى(فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ)[3].

ووقع التحدي هنا فظهر العجز عن الاتيان بمثل القرآن الكريم ،فكيف يتسنى للمولدين ،وليس فيهم من يقيم الاعراب بالطباع كما يقيم الاوزان ،فاذا عجز العرب فالمولدين عنه أعجز أيضا.

ولقد رأى بعض الباحثين أن الرماني بإقراره للصرفة إنما أراد أن يذكر رأي جماعته من النعتزلة أما رأيه الخاص فهو أن القرآن معجز ببلاغته وبنظمه البديع وبذاته ،وذلك لأنه خرق للعادة ،فلم يكن ماتضمنه القرآن يشبه أشعار العرب المعروفة والتي

[1]– سورة الروم الآية 1

[2]– سورة التوبة الآية 33

[3]– سورة البقرة الآية 23

يقيدها الوزن والقافية ،ولكنه جاء جميلا ولطيفا خاليا من الوزن الذي يعتبر من أساسيات جمال الشعر ،فأقصر سورة معجزة كأطول سورة فيه،فهذا هو مفهوم الرماني للإعجاز القرآني ونلاحظ أن أسلوبه في عرض أفكاره ،كان أسلوبا منطقيا ،يحتاج إلى الجهد في فهمه ،وذلك لغلبة الطابع الكلامي والمذهب الإعتزالي على أفكاره ،وحاجته في الكثير من المواقف إلى المجادلة والنقاش ،فيظهر لنا تاثره بالنزعة الإعتزالية.[1]

[1]– احمد جمال العمري مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس هجري دار المعارف القاهرة 1404–1984 ص82

## المطلب الثاني:القاضي عبد الجبار ورأيه في الاعجاز

هو القاضي أبو الحسن بن عبد الجبار المعتزلي كان يلقب بشيخ القضاة في عصره كم أنه كان رأس المعتزلة في زمانه وقدسلم له معاصروه بالتقدم و الرياسة في العلم و الفقه وأشهر مألفاته كتابه "المغنى" في ابواب التوحيد و العدل وهو موسوعة كبيرة يضم مباحث كثيرة جليلة في التوحيد والفقه،وأفرد القاضي عبد الجبار في كتابه "المغنى"جزءا خاصا للإعجاز وفيه فسرى النظم فهو يرى أن الفصاحة لا تكون في إفراد الكلمات بل بضم الكلمات إلى بعضها و مراعاة حركاتها في الإعراب و موقعها في التقديم وتأخير، يقول القاضي عبد الجبار "وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نضم مخصوص" [1]

"لأن الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر ....و النظم مختلف ..."[2]

ثم يقول "ولذلك لايصلح عندنا أن يكون إختصاص القرآن بطريقة في النظم دون الفصاحة،التي هي جزالة اللفظ و حسن المعنى".

يقول "و علم ان الفصاحة لا تظهر في إفراد الكلام ،وإنما تظهر في الكلام بالظم على طريقة مخصوصة ،ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ...وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التى تتناول الضم ...وقد تكون بلإعراب الذي له مدخل فيه ...وقد تكون بالموقع ... وليس لهذه الاقسام الثلاث رابع..."[3]

"ولابد من هذا الاعتبار في كل كلمة ...ثم لابد من اعتبار مثله في الكلمات ،إذا إنضم بعضها إلى بعض لأنه قد يوجد لها عند الإنضمام صفة ،وكذلك لكيفية إعرابها

---

[1]– عبد الكريم الخطيب،الاعجاز في دراسات السابقين، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية، ومعايرها /ط2 ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي1984 ص225

[2]– المرجع نفسه ص226

[3]– المرجع نفسه ص 226

وحركاتها، وموقعها ...فعلى هذا الوجه الذى ذكرناه ،إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه،دون ما عداها "[1]

وبعد أن تم التشكيك في نبوة الرسول –صلى الله عليه وسلم– رأى القاضي عبد الجبار شأنه شأن سائر شيوخ المعتزلة ضرورة الوقوف على صحة النبوة أولا و النظر في أدلاتها و معجزاتها ،وتحقيق ما فيها من البرهان على صدق الرسول في دعواه ،ولذلك فصل بين المعجزات التى ترتبط بالمشاهدة و المعاينة و الحضور ، وبين القرآن الكريم ،فجعل القرآن وحده دليلا أصليا على صدق النبوة ،وماعداه من المعجزات المادية و الحسية فرعا على ثبوتها و مؤكدة لها ،فالمعجزات المادية و الحسية لا تعتمد في إثبات النبوة الا لمن شهدها[2].

فهي وإن ثبتت بطريق اليقين ،فلا يصح الإعتماد عليها لمناظرة المخالفين ،لذلك إعتمد المعتزلة في إثبات النبوة على القرآن الكريم ،وهو المعجزة الباقية ،باعتبارهم لم يشاهدوا باقي المعجزات[3].

كما ينفي القاضي عبد الجبار أن يكون الإخبار بالغيوب وجها من وجوه الإعجاز ولا يعتد به ،يقول "فأما من قال :أنه –صلى الله عليه وسلم– إنما تحدى بالقرآن، من حيث تضمين الاخبار بالغيوب،فبعيد،لأنه تحدى بمثل كل سورة من غير تخصيص،و لا يتضمن كل ذلك الاخبار عن الغيوب..."[4]

يعتقد القاضي عبد الجبار إعتقادا جازما أن العرب لم يعارضوا القرآن الكريم،لتعذر ذلك عليهم،وذلك لما يختص به من المزية في الفصاحة ،فالقرآن الكريم بلغ

---

[1]– عبد الكريم الخطيب،الإعجاز في دراسات السابقين،دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية،ومعايرها، مرجع سابق ص227

[2]أم الخير بن الصديق،مذكرة تخرج لنيل الماجستير النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقها في المقررات اللغوية التعليمية لأقسام السنة الثانية ثانوي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية وآدابها تخصص لسانيات اللغة العربية و تعليمها ص25

[3]– منير سلطان،إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة، الطبعة الثالثة منشأة المعارف الإسكندرية 1986 ص 88

[4]– أم الخير بن الصديق،النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقها في المقررات اللغوية التعليمية ص 25

مبلغا من الفصاحة والبلاغة يفوق بدراجات ماجرت عليه عادة العرب عصر المبعث،وهذه المزية لم تجري بها العادة في كلام الفصحاء يقول القاضي "إعلم أنّ للكلام الفصيح مراتب ونهايات ، وأنّ جملة الكلمات وإن كانت محصورة ، فتأليفها يقع على طرائق مختلفة من الوجوه ، فتختلف لذلك مراتبه في الفصاحة ، فيجب أن لا يمتنع أن يقع فيه التفاضل ، وتبين بعض مراتبه من بعض ويزيد عليه قدرا يسيرا أو كبيرا ، و ما هذا حاله فالتّحدّي صحيح فيه ، لأنّ فيه مقادير معتادة تصحّ بها زيادات في الرتب غير معتادة .."[1]

و تطرّق القاضي عبد الجبار بالنّظم حين عقب على أستاذه [2] في اعتباره الفصاحة في اللفظ فرأى أن يكمل عمل أستاذه حين أغفل تركيب الكلام الذي عليه عماد البلاغة فعقد فصلا " وضح فيه الوجه الذي له يقع التفاضل في فصاحة الكلام رفض فيه أن تكون الكلمة بانفرادها تظهر في الفصاحة و كذلك المعاني ، و رأى أنّ الفصاحة إنّما تظهر في الكلام بالضّم على طريقة مخصوصة و لا بد مع الضم من أن يكون لكلّ كلمة صفة ، و قد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتنال الضم ، وقد تكون بالاعراب الذي له مدخل فيه و قد تكون بالموقع و ليست لهذهالأقسام الثلاثة رابع.[3]

[1]– أم الخير بن الصديق ، النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقها في المقررات اللغوية التعليمية،مرجع سابق ص 25

[2]– ابنها شمال جبائيت 133هـ

[3]– عبد القادر حسين،أثر النحاة في البحث البلاغي،ص 377 ــ 378

## المبحث الثاني: الإعجاز لدى الأشاعرة

هم أصحاب أبيال حسن علي بن إسماعيل الأشعري، (ولد سنة206هـ ) نشأ في بيتزوج أمه أبي جبائى المعتزلي لذي عمل على تربيته وعلمه الكلام، وكان من أئمة المعتزلة في ذلك الوقت، وقد خرج الأشعري عليهم .

ومن آرائهم أن الله عزو جل عالم بعلم ، وقادر بقدرة ،حي بحياة ، مريد بإرادة ،متكلم بكلام سميع بسمع،وهذه الصفات أزلية قائمة بذات الله تعالى.[1]

لعب الأشاعرة دورا مهما في إعجاز القرآن الكريم ،وكانوا وسيطا بين المعتزلة المتطرفين وغيرهم ،فلقد ذهب الأشعري إلى أن أقل ما يعجزعنه من القرآن سواء كانت السورة قصيرة أو طويلة ،فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة ،وذهب المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة.[2]

ويتضح لنا أن أهل السنة (الأشاعرة ) يجعلون كلام الله وكلام الرسول – صلى الله عليه وسلم – هوالأصل الذي يعتمد عليه ، وإليه يرجع الناس في النزاعات.

### الباقلاني و نظرته للإعجاز

[1] -منير سلطان،إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة ص 35)

[2] – أمير منها،علي خريس،جامع الفرق والمذهب الإسلامية ط2 المركز الثقافي العربي،بيروت 1994،ص 20–21

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد ( 338 – 403 هـ ) كان إمام عصره و حجّة زمانه له مؤلفات كثيرة و يدور معضمها حول العقيدة و الدفاع عن مذهب الأشاعرة ، و عاش في فترة زمنية كانت المذاهب الفكرية متعددة و متنافسة و ألّف كتابه " إعجاز القرآن " في إطار دفاعه عن قوائم الدّين و عماد التوحيد و برهان صدق النبوة و يبدأ الباقلاني حديثه بتقرير أن القرآن هو معجزة الرسول – عليه الصلاة و السلام – يقول الباقلاني " فأمّا دلالة القرآن فهي معجزة عامة ، عمت الثقلين و بقيت بقاء العصرين ، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدا واحد ... فأما الذي يبين ما ذكرناه من أنّ الله تعالى حين إبتعث جعل معجزته القرآن ، و بنى أمر نبوته عليه ، سور كثيرة وآيات نذكر بعضها [1] فمن قوله تعالى " الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" [2] و ينظر الباقلاني فيما نظر إليه غيره في الاعجاز :

**الاخبار عن الغيوب** : الأمر الذي يخرج عن طوق البشر و إستطاعتهم ، و قد إستدلّ عليه بما وعد الله عليه عز و جل النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه سيظهر دينه على الأديان كلها بقوله عز وجل "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ". [3] ففعل الله عز وجل ذلك ،وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله به من إظهار دينه[4].

ومن أخبار الغيب التى لا يعلمها إلا الله عز وجل قولها تعالى : " آلم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين"(سورة 1–4) وأن الله عز وجل صدق و عده ،فغلبت الروم في بضع سنين ،فدل هذا على أنه من أخبار الغيب.

---

[1]– الباقلاني أبوبكر محمد بن الطيب،التقريب والارشاد الصغير،تحقيق عبد الحميد علي أبو زيد ط 1 ،مؤسسة الرسالة 1993 ،ص 352

[2]– سورة ابراهيم 1– 2

[3]- سورة التوبة الآية 33

[4]– الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب،التقريب و الإرشاد الصغير تحقيق عبد الحميد علي أبو زيد ص 352

ومن وجوه الإعجاز أيضا أنه كان معلوما من حال النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه أميا لا يكتب ولا يحسن القرأة: و لم يكن يعرف عليه الصلاة و السلام شيئا من كتب المتقدمين و أقاصيصهم ،و أنبائهم و سيرهم ،ثم أتى بجملة ما وقع و حدث من عظيمات الأمور ،وإخبار عن قصص الماضين و سير الأمم الخالدة ، ومن حين خلق الله عز وجل آدم عليه السلام إلى مبعث النبي – صلى الله عليه وسلم– فذكر في الكتاب عليه السلام قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه و ما إنتهى إليه أمره ،فهذا الأمر لا سبيل إليه إلا عن طريق التعلم و النبي عليه الصلاة و السلام أمي لا يقرأ ولا يكتب ،فلا يصل النبي الكريم إلى هذه الأمور إلا عن طريق الوحي ،و لذلك قال الله عز وجل: "وَمَاكُنت تَتْلُو مِن قَبْلِه مِن كِتَاب وِلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذً الَّارْتَاب َالْمُبْطِلُونَ)[1].

**نظم القرآن :** وفي هذا يقول الباقلاني "فهو بديع النضم ،عجيب التاليف،متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه ...والذي أطلقه العلماء هوعلى هذه الجملة ..." ثم يأخذ في الكشف عما في القرآن من إعجاز وهي تبدوا له تتجلى فيما يلي:

1 – ما يرجع إلى الجملة –جملة القرآن كله – من ذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وإختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من جميع كلامهم ،ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به و يتميز في تصرفه عن الأساليب الكلام المعتاد.[2]

2 تحديد العناصر البلاغية الخاصة بالقرآن الكريم ،و التي لا يوجد شئ منهافي كلام الناس، وذلك لآنها ليست من عادات الناس وطبائعهم، وليست في مقدورهم أيضا،وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة، و الغرابة و التصريف

[1]– سورة العنكبوت الآية 37

[2]،عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسة السابقين، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، مرجع سابق ص 205–206

البديع،والمعاني اللطيفة،و الفوائد الغزيرة،و الحكم الكثيرة،و التناسب في البلاغة،و التشابه في البراعة ...على هذا الطول، وعلى هدا القدر.[1]

"وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به، فقال عز من قائل "وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِاللّه لَوَجَدُوا فِيهِا خْتِلاَفًا كَثِيرًا"[2]

إن الكلام يتبين فضله ،ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام،أو تقذف ما بين شعر، فتاخذه الأسماع، و تتشوق إليه النفوس، ويرى وجه رونقه باديا،غامرا سائر ما يقرن به...كالدرة التي ترى في سلك من خرز،و كالياقوتة في وسطه عقد يقول "أنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير...فإذا هي غرة جينية ، وواسطه عقده،والمنادى على نفسه بتميزه وتخصصه برونقه و جماله في جنسه و مائه.

كما يرى وجه الإعجاز في أسلوبه ،فالقرآن إشتمل على كل الأساليب البلاغية التي تتبني عليها أجناس الكلام البشري من إيجاز و إطناب، و حقيقة و مجاز و إستعارة وتصريح... ومنها ما يرجع إلى مفرداته ،فمن ذلك أنه إستعمال بعض المفردات في معان ومدلولات جديدة لم تكن معهودة في البيئة العربية قبل الإسلام،ومن ذلك بعده عن المفردات المستكرهة الثقيلة على السمع .

ومنها ما يرجع إلى حروفه ،فقد وردت في القرآن ثمان و عشرون سورة إفتتحت بحروف متعددة من الحروف الثمانية و العشرون، وقد إشتملت هذه السورة على نصف حروف الهجاء و هذه الحروف الأربعة عشر إشتملت على نصف كل قسم من الأقسام التي إنقسمت إليها حروف العربية فاشتملت على نصف حروف الهمس و نصف حروف الجهر ،ونصف حروف الحلق و نصف الحروف الشديدة، فهذا التنظيم و التقسيم البديع هو بلا شك وجه من وجوه الإعجاز الناصعة الوضوح في القرآن[3].

---

[1] عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسة السابقين، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها،مرجع سابق ص207.

[2] – سورة النساء الآية 82

[3] أم الخير بن الصديق،النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقها في المقررات اللغوية التعليمية ص26

كما نلمح عند الباقلاني كلاما عن النظم بصورة أو ضح في قوله "أنا لإعجاز واقع في نضم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلام هو إلى مثل هذاالنظم وقع التحدي.

**الخطابي و وجه الإعجاز**

يعتبر الخطابي أسبق علماء المسلمين إلى البحث عن الإعجاز بحثا علميا منظما، فألف رسالة سماها "بيان إعجاز القرآن"وهي تقع في نحو أربعين صفحة من القطع الكبيرة، فالخطابي يرى أن سبب الخلاف في الرأى، لأنه ليس مما يواجه النظر أو يقع في مجاله و إنما يستشعر بالقلب إستشعارا و يلمح بالبصيرة لمحا ، فاختلفوا في سلامة الأجهزة التي يتعاطون بها النظر للقرآن، فاختلفت معطيات القرآن لهم، ويرى الخطابي لا خلاف في الإعجاز فيقول" والأمر في ذلك أبين من أن نحتاج إلى أن ندل عليه بأكثر من الوجود القائم المستمر على وجه الدهر، من لدن عصر نزوله إلى الزمان الراهن الذي نحن فيه[1]" "وذلك أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتو بسورة من مثله فعجزوا و إنقطعوا دونه، و قد بقي النبي –صلى الله عليه وسلم– مدة عشرين سنة مظهرا لهم النكير ،زاريا عليهم أديانهم،مسفها أرائهم و أحلامهم، حتى نابذوه و ناصبوه الحرب، فهلكت فيها النفوس، وأريقت المهج و قطعت الأرحام و ذهبت الأموال و لو كان في وسعهم أوتحت أقدارهم،لم يتكلفوا الأمور الخطيرة ".[2]

وينكر الخطابي الإعجاز بالصرفة فيقول "و ذهب قوم إلى أن العلة في إعجازه – القرآن– بالصرفة ، أي صرف الهمم عن المعارضة و إن كانت مقدور عليها، غير معجوز عنها يقول الخطابي "و لا يشك في أن هذا و ما أشبهه من أخباره، نوع من إعجازه ، لكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن " .

[1] عبد الكريم الخطيب،الإعجاز في دراسة السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها ص 184

[2] المرجع نفسه ص 184

وقد جعل الله سبحانه في كل صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها ،لا يقدر أحد من الخلق على أن يأتي بمثلها فقال: فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْكُنْتُمْ صَادِقِينَ"[1]

يرى الخطابي أن الإعجاز في النظم الذي إنفرد به القرآن يقول: " وعلم أن القرآن صار معجزا ،لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف،مضمنا أصح المعاني ...من توحيد الله عزت قدرته ، وتنزيه له في صفاته،دعا إلى طاعته ،و بيان بمنهاج عبادته ...من تحليل وتحريم، وحظر و إباحة و من وعظ و تقويم و أمر بالمعروف، و نهي عن منكر ،وإرشاد إلى مكارم الأخلاق و زجر عن مساوئها،واضعا منها كل شئ موضعه الذي لا يرى شئ أولى منه،ولا يرى في صورة العقل أمر أليف منه ...مودعا أخبار القرون الماضية ".[2]

ثم يعرض الخطابي رأيه في الإعجاز يقول "قلت في القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس: وذلك صنيعه القلوب،وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما أو منثورا،إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة و الحلاوة في كل حال، ومن الروعة و المباهة في أخرى، ما يخلص من القرآن إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور".[3]

كما ذهب الخطابي إلى أن الكلام يقوم بعناصر ثلاث:لفظ حامل،ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم ثم يقول " وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف و الفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح و لا أجزل و لا أعذب من ألفاظه، و لاترى نظما أحسن تأليفا، وأشد تلاؤما و تشاكلا من نظمه". [4]

---

[1]- سورة البقرة الآية 23

[2]المرجع سابق ص 185

[3]المرجع نفسه ص 185

[4]أحمد سيّد محمد عمّار،نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي ص 130

ويرى أن سر الإعجاز في النص القرآني يكمن في إجتماع هذه الأمور الثلاثة ، وبعد حديثه عن الألفاظ و المعاني، ينتقل إلى الحديث عن الأساس من نظريته وهو الأساس الذي يكشف لنا عن نظرته للنظم و نقصد بذلك "رسوم النظم" فبين أن النظم ليس أمرا سهلا و إنما يحتاج إلى ثقافة و حذق يقول "أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة و الحذق فيها،أكثر لأنها لجام الألفاظ و زمام المعاني، به تنظيم أجزاء الكلام ، ويرتبط بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان.[1]

والنظم عند الخطابي هو "صورة اللفظ المتفاعل مع المعنى للتعبير عن التجربة الفنية وليس للألفاظ وحدها و لا للمعاني أهمية النظم و هو بذلك يحط اللفظ بعض الأهمية التي ركز حولها السابقون دراستهم"[2].

[1] أم الخير بن الصديق،النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقها على المقررات اللغوية التعليمية ص 19

[2] المرجع نفسه ص 19

# الفصل الثالث

المنطلقات العقدية لنظرية النظم عند الجرجاني

**المبحث الأول:**

المطلب الأول: نظرية النّظم

المطلب الثاني:المنطلقات الإعتزالية لنظرية النّظم

المطلب الثالث:المنطلقات الأشعرية لنظرية النظم

## تمهيـــــــد

يتوجب علينا أثناء البحث عن المقاصد التي بنى عبد القاهر الجرجاني خطابه وفقها أن نبحث في الخلفية الإجتماعية، و الدينية التي طبعت عصره، وما يميز العصر الذي نشأ فيه عبد القاهر أنه كان عصر جدال ومناظرة ،كانت قائمة على قضية الدفاع عن الإعجاز القرآني ، وقد شملت المناظرة مختلف فروع المعرفة آنذاك ، كما عرفت حدة عند طائفة المتكلمين، وهو ماجعل هذه الملامح تؤثر على الخطاب البلاغي لدى عبد القاهر الجرجاني، مما جعل خطابه يمتاز بالطابع السجالي الحواري ، باعتباره محاورا و متحدّيا ، ومطالبا بالحجة ، و لأن الجرجاني كان متكلما ، ومرسلا لخطاب معيّن ، فإنّ الإطلاع على قصده باعتباره متكلما "أمر مرتبط بمعرفة ظروف النّص الموضوعية ووضعية المتكلم و مكانته و وضعية المخاطبين ، ففهم الخلفيات المعرفية و الظّروف التي شكلت النّص "[1]

يتضح من خلال هذا القول ضرورة ربط الخطاب الموجه بسياق إنتاجه،ومن ذلك ربط كتاب دلائل الإعجاز بالعصر الذي ظهر فيه أمر يستوجب المقام، يقول مصطفى ناصف "اللغة لا تنكشف أيضا في علاقتها بالمتكلم و المجتمع "[2]

لهذا فإن فهم النص يكون بعقد علاقة مع سياق العصر و الذي يتجسد في دلائل الإعجاز خلال ضروف القرن الخامس الهجري ، و من بينها كثرة الآراء الكلامية.

---

[1] محمد مفتاح ،المقصد و الاستراتيجية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،سلسلة بحوث ومناظرات، دار البيضاء 1993 ص58)

[2] مصطفى ناصف ، محاورات مع النثر العربي، سلسلة عالم المعرفة 1997 ص 12)

## - نظرية النظم

ومن العوامل التي أثرت على عبد القاهر الجرجاني ذلك الصراع الذي أدى إلى إمتزاج الثقافات و تعصب حملة اليونانية لفلسفة اليونان و منطقهم ،دفاع الحملة العربية عن تراثهم و ثقافاتهم و منها الثقافة النحوية ومن مظاهر هذا الصراع "تلك المناضرة الحادة التي جرت بين متى بن يونس و سرافي في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفران ، فقد أراد الأول أن ينتصر للنحو ، أمّا الثاني فأراد أن ينتصر إلى المنطق فما ذهب إليه متى بن يونس أنّ المنطق ميدانه المعنى أمّا النّحو فميدانه اللفظ ، فأراد السيرافي أن ينقض هذه المقولة فراح يقدّم الأدلة على أن النحو أيضا يعنى بالمعنى و قال أيضا أنّ النحو منطق و لكنه مسلوخ من العربية و أنّ المنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة فكان دفاع السيرافي عن النحو العربي دفاعا قويا أثار إعجاب الحاضرين "[1] .

و كذلك مما مهد للفكرة الفتنة التي كانت تطل برأسها في البيئة الإسلامية منذ ظهر الإلحاد في القرن الأول للهجرة ، ثم أصبح ظاهرة خطيرة على المجتمع الإسلامي في العصر العباسي ألا و هي : التشكيك في القرآن و في إعجازه فعلى الرغم من الجهود التي بذلت في إرساء القواعد التي يقف عليها الإعجاز فقد رأى عبد القاهر أنّ القضية لم تحسم بعد و الواجب الديني لم يفرض عليه أن يجند نفسه و قلمه للدفاع عن هذه القضية التي تتصل بالدّين.[2]

ــ الخلاف الذي نشأ بين النّحويين و الذي كانت بدايته بسبب فتح الباب لتجويز القراءات التي لم تشملها القواعد البصرية الأولى ، و هذا الخلاف أدّى إلى التركيز على المسائل النّحوية و أصبح للنّحو علماؤه المتخصصون و مدارسه المتخصصة ، و نتج عن ذلك تفرع في مسائل كثيرة في ميدان النحو و الصرف و سارت البلاغة العربية التي إنفصلت

[1] سلطان منير، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة ، منشاة العارف الإسكندرية ط3،1986 ص 46

[2] أحمد سيّد محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي ص58

عن النحو أيضا في الإتجاه نفسه فتحولت إلى تقسيمات و تعريفات و حدود بعيدة عن النصوص اللغوية مما أدى إلى الزهد في النحو و الابتعاد عنه.

أشارمحقق كتاب دلائل الإعجاز في مقدمة إلى السبب أو الأسباب التي جعلت عبد القاهر الجرجاني يؤلف كتاب "فقد كان يريد أن يؤسس بكتابه هذا علما جديدا إستدركه على من سبقه من الأئمة الذين كتبوا في البلاغة و في إعجاز القرآن "[1]

وقد قدم لنا المحقق فكرة عن سبب تأليف الكتاب إذ نجده يقول:

"ذلك أن عبد القاهر منذ بدأ في شق طريقه إلى هذا العلم الجديد الذي أسسه، كان كل همّه أن ينقض كلام القاضي في (الفصاحة) وأن يكشف عن فساد أقواله في مسألة (اللفظ) من حيث هو لفظ و نطق لسان "[2]

فهو يشير إلى القاضي عبد الجبار المعتزلي إذ عمل عبد القاهر الجرجاني على دحض آراء عبد الجبار، وهو ما يظهر في قوله "و إعلم أن القول الفاسد و الرأي المدخول إذا كان صدره عن قوم لهم نباهة و صيت و علوّ منزلة في نوع من أنواع العلوم غير العلم الذي قالو ذلك القول فيه ثم وقع في الألسن فتداولته و نشرته ،و فشا وظهر ، وكثر الناقلون له و المشيدون بذكره صار ترك النظر فيه سنة ، و التقليد دينا ....."و هو الأمر الذي جعله يؤلف الكتاب كما يرى المحقق ، و اللافت في الأمر هو الهيئة الشكلية و المنهجية التى ألف وفقها الكتاب ،فهو كتاب لا يخضع للتبويب و التقسيم و التصنيف ،و أوجبت أن يبنى الكتاب هذا البناء العجيب هو فيما أظن أن طائفة من المعتزلة من أهل العلم ، في بلدته جرجان وفي زمانه كان لهم شغف و لجاجة و شغب وجدال و مناظرة في مسألة (إعجاز القرآن ) وإتكؤ في جدالهم على أقوال القاضي عبد الجبار التي جاءت في كتابه (المغنى) ... وشققوا الكلام فيها " [3] وهم كما وصفهم عبد

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر ط1 ،دار المدني السعودية 1992،ص أمن مقدمة المحقق

[2] – المرجع نفسه ص هـــ من مقدمة الكتاب

[3] – المرجع نفسه ص و من مقدمة الكتاب

القاهر بقوله "فإن أردت الصدق فإنك لا ترى في الدنيا أعجب من شأن الناس مع اللفظ و لا فساد في رأى مازج النفوس و خامرها و إستحكم منها و صار كإحدى طبائعها، من رأيهم في اللفظ فقد بلغ من ملكته لهم وقوته عليهم أن تركهم و كأنهم إذا نظروا فيه أخذوا عن أنفسهم و غيّبو عن عقولهم و حيل بينهم و بين أن يكون لهم فيما يسمعونه نظر،و يرى لهم إيراد في الإصغاء و لا صدر ، فلست ترى إلا نفوسا قد جعلت ترك النظر دأبها ،ووصلت بالهوى بنا أسبابها ،فهي تغتر بلأضاليل ، و تتباعد عن التحصيل ، وتلقي بأيديها إلى الشبه ،و تسرع إلى القول المموه"[1]

كما يظهر حديث مصطفى ناصف عن خلفيات التأليف عند الجرجاني ، إذ يربطه بالدواعي الدينية و التي عكستها بعض الأراء السائدة في عصر الجرجاني ،فيقول: "لاحظ عبد القاهر أن الصرفة لقيت بعض الرواج في عصره من مثل كلام محمد بن الحزم الظاهري ،وإبن سنان الخفاجي ...."[2].

إن العقل في نظر علماء الكلام و الفلاسفة المسلمين هو الوسيلة التي يتعرف بها الإنسان على الكون من حوله ، وهو الوسيلة التي يعقل بها الأشياء و ذلك أدى إلى أن تكون معظم خلافات المذاهب الإسلامية تدور حول الدليل العقلي و الذي يهمنا هو طبيعة الخلاف بين المذهب المعتزلي الذي يرى أن القرآن مخلوق وذلك طبقا لمقتضيات نظريتهم في التوحيد ، والأشاعرة الذين أوجدوا نظرية الكلام النفسي ، و مدى تأثر الجرجاني بالتفكير العقيدي لهذين المذهبين ،فقد رفض الجرجاني الفكرة الإعتزالية القائلة بفصاحة الألفاظو بلاغتها ، الناجمة عن إكثار المعتزلة من الإحتفال بلألفاظ فكان من الجرجاني إلى أن أرجع الفصاحة و البلاغة إلى نظم المعاني و ترتيب الألفاظ على وفق هذا النظم ، وهو ما ينسجم و نظرية الكلام النفسي المعتمدة على المعاني التي في النفس.[3]

---

[1]–عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق ص 458

[2]– مصطفى ناصف نظرية المعنى في النقد العربي ،دار الأندلس للطباعة والنشر ط1 1997ص 28

[3]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر مرجع سابق، ص 402

"ويبدوا أن عبدالقاهر عندما رأى لغو المعتزلة في خلق القرآن رجع وهو الأشعري المذهب إلى فكرة الكلام النفسي التي وردت عند الأشاعرة و فسّروا بها صفة الكلام المنسوبة إلى الذات العلية ....ثم قادت فكرة الكلام النفسي ذاتها إلى فكرة النظم وهو نظم المعاني في النفس، بالوصول إلى هذا التصور للنظم أصبح على عبد القاهر أن يقدم تفسيرا لعملية إنتاج الكلام ،وهكذا وصل إلى إطار مكون من الأفكار الأربع :

1-النظم

2-البناء

3-الترتيب

4-التعليق[1]

كما تعرض الجرجاني في مؤلفاته للكثير من آراء المعتزلة و خصص لها مساحات واسعة من فكره ،متصديا لها بالعرض تارة و بالنقاش و المجادلة تارة أخرى ومن تلك الأراء رأى المعتزلة في الإعجاز بالصرفة التي عارضها الجرجاني و رفضها بقوة ودعا إلى تلمس الإعجاز القرآني ودلائله من داخل النّص القرآني نفسه لأن في النّص ما يدل على إعجازه"[2]

كما تأثر بالفكر الأشعري الرافض لفكرة أن القرآن مخلوق فأوجدوا نظرية الكلام النفسي و بناء على الفكر الأشعري ،فقد وجد الجرجاني نفسه مع القائلين بهذه الأفكار داعما لفكرته في النظم القائمة على ترتيب الألفاظ تبعا لترتيب المعاني في النفس و الجرجاني واضح كل الوضوح ،فهو يؤكد صراحة و بإلحاح أن ما يقصده بالمعنى ليس معنى الكلمة المفردة ، فلكلمة المفردة لا ينطوي معناها الخاص على أي مزية بيانية ،وإنما

[1]- تمام حسان،دراسة ابستمو لوجيا للفكر اللغوي عند العرب،عالم الكتب 2000ص308

[2]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز تحقيق محمود محمد شاكر، مرجع سابق ،ص 9-10

المزية و الفضيلة في نظره للمعنى الواحد المفهوم من مجموع الكلمات التي تتظم في الكلام".[1]

"وإعتمد الجرجاني على الفكر الأشعري الذي رفض إطلاق صفة الكلام على ما هو مسموع و قيده بالمعنى النفسي ،ففي رفضه أن تكون الزيادة في الكلام عن طريق زيادة الألفاظ ، بل أرجع الزيادة إلى زيادة المعاني ،وهو بذلك يخالف الفكر المعتزلي الذي يطلق صفة الكلام على ماهو مسموع ويرى أن الزيادة في الألفاظ زيادة في الكلام"[2] و بالنظر إلى نظرية (النظم) التي سيطرت على التفكير الجرجاني و جدنا جذورها مستمدة من روافد الخلاف المعتزلي الأشعري ،إذا تجنبت المدرسة الإعتزالية فكرة النظم – بوصفها سببا في إعجاز القرآن – وجنحت إلى فكرة الفصاحة ، وهذا ما يؤيد نظرتهم في خلق القرآن بخلاف النظرة الأشعرية ، ومن ذلك جاءت نظرية النظم لتكون فكرة جرجانية بتأثير أشعري و لتتبلور نظرية لها أسسها و أصولها القائمة عليها .

وعلى الرغم من موافقة الجرجاني لأصحاب مذهبه الأشعري في كثير من القضايا المطروحة ضمن دائرة الإعجاز القرآني ،فإن ذلك لم يمنعه من موافقة المعتزلة في بعض آرائهم ، ولا سيما المتعلقة بالمجاز و التأويل و دور العقل في كل ذلك ومما يؤيد ذلك قول محمد زغلول سلام "إن عبد القاهر من العلماء المتأثرين بالإتجاه المشرقي في التفكير،و غلبت عليه آراء المعتزلة ، و الإتجاهات الكلامية و الفلسفية ،كما عني بالمنطق عناية خاصة"[3]

يقول الدكتور تراث الزيادي " و على الرغم من أنه – الجرجاني – كان ينحو نحو الأشاعرة في تفكيره و يأخذ بالكثير من آرائهم ، أنه كان حر الرأى ، بعيد عن التعصب و الهوى و لهذا لم يجنح به الجدل إلى المهاترة و العناء ، طلبا للغاية ، وإنتصارا للمذهب ،و إنما كان على بصيرة من أمره ،حريصا على دينه ،محترما لعقله ،لا يقبل من الرأى

---

[1]– المرجع نفسه ص395

[2]–– عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز تحقيق محمود محمد شاكر، مرجع سابق ص 395

[3]– محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر هجري ، ط1 دار المعارف مصر ص 214

إلا ما إطمأن إليه قلبه، وسكنت إليه نفسه ،وهو الأمر الذي جعله يحظى بما حظي به من مكانة بين السنة و المعتزلة على السواء ، و ما متابعة الزمخشري المعتزلي لفكرة النظم الجرجانية في تطبيقاتها البلاغية ،إلا تأكيدا لمصداقية هذا القول ،يزاد على ذلك كله أن الجرجاني من خلال إستقراء مؤلفاته لم نجده يذكر صراحة إسم مذهبه الأشعري ، أو إسم المعتزلة ، وما ذلك إلا دليل ، على موضوعية بحثه في الإستقصاء، وطلب الإستدلال للأراء المطروحة في قضية الإعجاز القرآني ، وما يتعلق بها من قضايا.[1]

[1]– محمد خلف الله أحمد، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى أخر القرن الرابع الهجري، ط 13 دار المعارف ص 216

## المنطلقات الإعتزالية لنظرية النّظم

– لمفهوم "النظم" تاريخ عريق فقد ترددت كلمة النظم على أقلام النحاة قبل عبد القاهر بمئات السنين و ترجع المحاولات الأولى للتفكير في النظم من الناحية البلاغية و الجمالية إلى عهد المعتزلة الذين أكدوا أن القرآن الكريم معجز بنظمه و تأليفه ، فكان عليهم أن يوجهوا فضل عنايتهم إلى البحث في مزايا النظم القرآني ،و يحللوا أسلوبه تحليلا بلاغيا موضوعيا ،و يكشفوا عن أسراره و دقائقه الفنية ، ليبرهنوا على أن بلاغته فوق بلاغة البلغاء ، وأن نظمه و تركيبه خارق لعادة الفصحاء."[1]

وكانت الشرارة الأولى في بعث الدراسات الإعجازية النقدية إعتزالية خالصة من خلال النظرية التي تفرد بها النظام صاحب مقولة الصرفة ، و مرادهم أن البشر لهم القدرة على مجارة لغة القرآن و لكن الإعجاز كان في صفة الإرادة الإلهية عبر مفهوم السلب حيث تعلقت بـــ: سلب الإستطاعة و سلب الإرادة و تغير إتجاه المنحى الإعتزالي بلأفكار الجاحظية التي واجهت هذه الإدعاءات ، وقد إستطاع الجاحظ أولا تحويل مجرى النقاش بحيث أسس لقواعد منهجية يرتكز عليها النقد حيث عمد الجاحظ إلى أسلوب جديد مبتكر بالنظر إلى تطور الحس النقدي في ذلك العهد ،و هو أسلوب المقارنة و التمثيل بين مادة البيان ،اللغة العربية قبل الإسلام من جهة و لغة القرآن من جهة أخرى، فمهد لملامح نظرية جادة متكاملة ،ترجح إلى فهم التراث الأدبي، وتحليل خصائصه ثم الموازنة بينه وبين البلاغة القرآنية، وقد حقق خطوات مهمة على المستوى المفهومي و الإجرائي تنطلق من:

مرجعية فكرية و مذهبية و جمالية عامة ، أي من حضارة متميزة تنبثق عنها جملة التصورات التي تنظم الوجود مادة ومعنى. [2]

---

[1]– أحمد أبوزيد ،المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن ، مرجع سابقص159

[2]– المرجع نفسه ص 159

إستنكاره أسرار النّص و رصد ملامح الجدّة و التجاوز فيه ، بناء على نظرية الجاحظ في معنى المعنى أو التأويل المضاعف و يتصور هذا الإستنكار أو الإستنباط في ثلاث محاور:

1- كفاية معرفية تتحكم في الفعل القرآني،تصبغه و توجهه و تخلق آلياته

2-ملاحظة التفائل الحاصل بين القراءة و الألفاظ أو أجزاء النّص

3-فحص ملامح الإنزياح و رصد درجاته ، وتلمس ملامح الجّدة و الإبتكار فيه مستقبلا[1]

ويعبر الجاحظ عن النظم في قوله "ومتى شاكل –أبقاك الله – ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقا ، ولذلك القدر ل فقا ، وخرج من سماجة الإستكراه،وسلم من فساد التكلف كان قمينا بحسن الموقع وبالنتفاع المستمع"[2]

وهناك عشرات المسائل الجاحظية المؤيدة للإعجاز القرآني من جهة و إنفتاح "النص"و فق الأدوات التفسيرية و البلاغية و التأويلية ،و المقعّدة للمعاني الكثيرة التي تلبي حاجة وواقع الناس في الحياة ،ودون إغفال مكانة أبي عبيدة صاحب "مجاز القرآن" و إبن قتيبة صاحب "مشكل القرآن" في الدفع بالدراسات النقدية المؤسسة على فكرة الإعجاز إلى الأمام .[3]

وبكتاب "مجاز القرآن" وضع أبو عبيدة اللبة الأولى في الدراسات البلاغية للقرآن ، وكان خطوة على الطريق لفهم الإعجاز القرآني ،يقول أبو عبيدة: ( ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب و المعاني .... ومن المحتمل من مجاز من إختصر ،و مجاز وما حذف ومجاز ما كف عن خبره ،و مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع ،و مجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الإثنين ....)[4]

---

[1]- أحمد أبوزيد ،المنحى الإعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، مرجع سابق ص 159

[2]- محمدخلفاللهأحمد،أثرالقرآنفيتطورالنقدالعربيإلىأثرالقرآنفيتطورالنقدالعربيإلىأخرالقرنالرابعهجريط3 دارالمعارف 1986ص 216

[3]- أحمد أبوزيد،المنحى الإعتزالي في البيان وإعجاز القرآن ص 160

[4]- أم الخير بن الصديق،النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقها على المقررات اللغوية والتعليمية ص 12

وإبن قتيبة (ت 276ه) يكشف عن وجه من أوجه إعجاز القرآن بقوله "وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين ، وأبان بعجيب النظم عن حيل المتكلفين ..."

وقوله: "وجعله متلوا لا يمل على طول تلاوته ،ولا تمجه الأذان ،وغضا لا يخلق على كثرة الرد ،و عجيبا لاتنقضي عجائبه ، ومفيدا لا تنقطع فوائده ، ونسخ به سالف الكتب ، وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه."[1]

كما تطرق الرّماني المعتزلي لنظريتي التثقيف و التلاؤم ، وقد جاءت تأييدا لأراء الجاحظ و توسيعا لها، وكذلك الحفاظ على الأصالة الإعتزالية لتطوير نظريتي النّظم ، حيث تبرز فيها الملامح العقلية في التشكيل المعرفي المبني على ذاتية اللفظ و ذاتية المعنى و المناسبة بينهما .

و يلاحظ أن الرّماني على الرغم من أنهلم يذكر النظم كوجه من وجوه الإعجاز إلا أنه لم تكن فكرة النظم غائبة عن ذهنه ، إذ تحدث الرّماني عن النّظم في القسم الرابع من أقسام البلاغة عنده وهو التلائم ، وذلك لأن مفهوم التلاؤم عنده يكون بمراعاة الألفاظ بما يكون بينها من تلاؤم و الإنسجام "[2]

ونستطيع القول أن الرّماني وهو يرد الإعجاز إلى هذه الفنون البلاغية لم يهمل شأن النظم ، ولم يغب عن ذهنه ، فقد بدأ النّظم عند الرّماني بصورة شكلية بسيطة بحيث لا تعدوا الألفاظ و تراكيبها في الكلام بما يبرز جمالها الصوتي ، ويجعلها خفيفة النطق ، ومأنوسة الوقع في الأسماع".[3]

و الرّماني حين يتحدث عن التلائم فإنه يقصد به حسن النظم و جودة السبك حتى يحلو في السمع و يحف على اللسان ، يقول الرّماني: " و الفائدة في التلائم حسن الكلام

---

[1] _ أم الخير بن الصديق،النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقها على المقررات اللغوية والتعليمية ، مرجع سابق ص 12

[2] _ أحمد أبوزيد ، المنحى الإعتزالي في البيان وإعجاز القرآن ص 160)

[3] _ وليد قصاب،التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس هجري ، دار الثقافة الدوحة 1985 ص324

في السمع و سهولته في اللفظ و تقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة و طريق الدلالة".[1]

ويتضح حديث الرّماني عن النّظم عندما يتحدث عن التأليف المتنافر مقارنا بينه وبين الأسلوب المتلائم ، وكأنه يتحدث عن النظم الجيد و النظم المظطرب ، أو المتنافر ومثل ذلك قراءة الكتاب في أحسن مايكون من الخط و الحروف و قراءته في أقبح مايكون الحروف و الخط ،فذلك متفاوت في الصورة ، وإن كانت المعاني واحدة[2]"

وذكر الرّماني أن إعجاز القرآن لا يمكن أن يكون في الوجوه البلاغية المجردة ، ولأن كل لون من ألوانها معجز بحد ذاتها ، بل أكد لنا أن الإعجاز يكمن في الجمال الفني ، وفي مراعاة الحروف في النّظم و التأليف .

ونستطيع القول أن الرّماني وهو يرد الإعجاز إلى هذه الفنون البلاغية لم يهمل ، شأن النّظم ، ولم يغب عن ذهنه ، فقد بدأ النظم عند الرماني بصورة شكلية بسيطة بحيث لا تعدوا الألفاظ و تراكيبها في الكلام بما يبرز جمالها الصوتي ، ويجعلها خفيفة النطق على اللسان ، ومأنوسة الوقع في الأسماع.[3]

–و إعتبر الرّماني البلاغة أهم وجه من وجوه الإعجاز، وقد شغل هذا الجانب معظم رسالته، وذلك لأنه ذكر أوجه الإعجاز الستة الأخرى في نهاية رسالته " النكت في إعجاز القرآن" أما البلاغة فقد ذكرها في بداية رسالته ، فقد بين لنا الرّماني وجه الإعجاز القرآني من خلال ذكره الأقسام البلاغية المختلفة.[4]

وكان كلام المعتزلة في نظرية النظم يسير في إتجاه الحفاوة بالألفاظ ، وإعتبار المزية الحاصلة في النظم راجعة إليها لا إلى المعاني ، ويعتبر القاضي عبد الجبار أوسع من ناقش نظرية النّظم من المعتزلة ،فقد عقد في كتابه "إعجاز القرآن" فصولا عدة لبيان

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ص39

[2]– ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت ط1 1982 ص 104

[3]– وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس هجري ص 324

[4]– المرجع نفسه ص 331

فصاحة القرآن الكريم التي بها صار "معجزا"وهي أظهر أوجه الإعجاز عنده و كلامه عن فصاحة القرآن الكريم يبرز بوضوح رأيه في قضية النظم .

بدأ القاضي عبد الجبار حديثه عن الفصاحة بفصل سماه "في بيان الفصاحة التي يفضل بعض الكلام على بعض ، وصدره بذكر كلام شيخه أبي هشام الجبائي (ت133)الذي أرجع الفصاحة في الكلام إلى أمرين ، جزالة اللفظ و حسن المعنى .

كان القاضي عبد الجبار يقرر أن وجه إعجاز القرآن الكريم هو ما إختص به من قدر عظيم في الفصاحة و أن تلك الفصاحة تكونت بطريقة من النظم خارجة عن العادة[1] .

والإعتبار الأول عند القاضي عبد الجبار كسائر المعتزلة هو الألفاظ و ليس المعاني، وفي ذلك يقول: "فإن قيل: فقد قلتم في أن جملة ما يدخل في الفصاحة حسن المعنى، فهلا إعتبرتموه؟قيل له: إن المعاني وإن كان لابد منها فلا تظهر فيها المزية ، وإن كانت تظهر في الكلام لأجلها و لذلك نجد المعبيرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أفصح من الأخر و المعنى متفق ، وقد يكون أحد المعنيين أحسن وأرفع و المعبر عنه في الفصاحة أدون، فهو مما لابد من إعتباره، و إن كانت المزية تظهر بغيره ، على أنا نعلم: أن المعاني لايقع فيها التزايد ،فإذن يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عند الألفاظ التي يعبر عنها ...فإذا صحت هذه الجملة فالذي تظهر به المزية ليس إلا الإبدال الذي يختص به الكلمات ، أو التقديم أو التأخير ،الذي يختص به الموقع أو الحركات التي تختص الإعراب، فبذلك تقع المباينة، و لابد في الكلامين اللذين أحدهما أفصح من الأخر أن يكون إنما زاد عليه بكل ذلك أو ببعضه و لايمنتع في اللفظة الواحدة أن تكون إذا إستعملت في معنى تكون أفصح منها إذا إستعملت في غيره،و كذلك فيها إذا تغيرت حركاتها، و كذلك القول في الجملة من الكلام ، فيكون هذا الباب داخلا فيما ذكرناه"

[1]– أحمد بن عبد الرحمن بن حسن العاكش ، النظم القرآني بين المعتزلة والأشاعرة، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد بأبها، المملكة العربية السعودية ص 9

وبهذا يكون القاضي عبد الجبار قد أرسى المفهوم الإعتزالي لنظرية النّظم ، الذي يعتبر أن التفاضل ، وإنما هو في نظم الألفاظ، وأن المعاني لا تفاضل فيها، كما صاغه الجاحظ من قبل ، حين ثار في وجه اللغويين مؤكدا أن "المعاني مطروحة في الطريق،يعرفها العجمي و العربي و البدوي و القروي و المدني،وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير الألفاظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك[1]"

كان القاضي عبد الجبار أكثر العلماء وضوحا في تناوله للنظم قبل عبد القاهر الجرجاني حين عقب على أستاذه إبن هاشم الجبائي في إعتباره الفصاحة في اللفظ فرأى أن يكمل عمل أستاذه حين أغفل تركيب الكلام الذي عليه عماد البلاغة فعقد فصلا: "وضح فيه الوجه الذي له يقع التفاضل في فصاحة الكلام رفض فيه أن تكون الكلمة بإنفرادها تظهر فيها الفصاحة و كذلك المعاني ، و رأى أن الفصاحة إنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولابّد مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة ،و قد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ،و قد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه و قد تكون بالموقع و ليست لهذه الأقسام الثلاثة رابع.[2]

فلمّا كان المعتزلة يرون أن مسمى الكلام هو اللفظ فقط ، و يقولون: الكلام حروف و أصوات منظومة ، و يعتقدون أن كلام الله مخلوق محدث ، أدى بهم ذلك إلى تحديد وجهة نظرهم في إعجاز القرآن، فصاغو نضرية النّظم في صورة متوافقة مع هذا الأصل العقدي و جعلو المزية في النّظم للفظ لا للمعنى[3].

---

[1]–أحمد بن عبد الرحمن بن حسن العاكش،النظم القرآني بين المعتزلة والأشاعرة المرجع سابق ص 10

[2]– عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي ص378–379

[3]– أحمد بن عبد الرحمن بن حسن العاكش،النّظم القرآني بين المعتزلة والأشاعرة، مرجع سابق ، ص 9

**المنطلقات الأشعرية لنظرية النظم:**

إذا كان المعتزلة هم أول من تكلم عن نظرية النّظم في القرآن الكريم، ووضعوا هذه النظرية و صاغوها بطريقة تخالف إتجاه المعتزلة ، ففي حين أسس المعتزلة نظرية النّظم على إعتبار المزية للفظ ، وأن التفاضل و التزايد في الألفاظ لا في المعاني ، جاء الأشاعرة و قعّدوا نظرية النّظم على أساس إعتبار المزية للمعنى دون اللفظ، وبنوا ذلك على إعتقادهم في مسألة الكلام ، و أنه المعنى القائم في النفس .

وتمثل أفكار الخطابي في كتابه " بيان إعجاز القرآن "مرحلة عظيمة في قضية النّظم القرآني و النظم بصفة عامة ، و عناية بعلاقة الألفاظ بعضها ببعض داخل العبارة أو الآية وقد قسم الكلام ضمن هذه الإعتبارات إلى ثلاثة أقسام:لفظ حامل ،و معنى به قائم و رباط لهما ناظم ، ثم يقول: " وإذا تأملت القرآن و جدت هذه الأمور منه في غاية الشرف و الفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل و لا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا و أشد تلاؤما و تشاكلا من نظمه."[1]

ويرى أن سر الإعجاز في النّص القرآني يكمن في إجتماع هذه الأمور الثلاثة إذ يقول :

وإعلم أن القرآن و إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف،مظمنا أصح المعاني".[2]

ويرى أن المعيار الذي تقاس به البلاغة هو أن توضع كل لفظ في موضعها الأخص لها من الكلام بحيث إذا تريد مكانها ترتيب على ذلك أحد الأمرين:

1-تغير المعنى الذي يقضي إلى فساد الكلام

2- ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة

---

[1]- منير سلطان إعجاز، القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ص 76

[2]- أحمد سيد محمد عمّار،نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي ص130

وبعد حديثه عن الألفاظ و المعاني ،ينتقل إلى الحديث عن الأساس الثالث من نظريته و هو الأساس الذي يكشف لنا عن نظريته للنّظم و نقصد بذلك "رسوم النّظم" فبين أن النظم ليس أمرا سهلا ، و إنما يحتاج إلى ثقافة و حذق يقول: "أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة و الحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ و زمام المعاني، به تنتظم أجزاء الكلام ، و يرتبط بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان".[1]

كما إرتقى الخطابي بالدرس النقدي إلى مكانة جديدة ، تدل على إعمال الفكر في كل لفظ و معنى من ألفاظ و معاني القرآن الكريم و أهم ما إشتهر به مسألتان:

الأول القول بتظافر أوجه الإعجاز، و قيمة هذه المسألة تكمن في إسقاطها للرأى الذي يدعوا لعزل دراسة (النّظم) عن أسبابه الموضوعية المتمثلة في الجذور العقائدية لمسألة الإعجاز.

الثاني القول بفصاحة المعاني و تفاضلها ، أي تجاوز رأى الجاحظ في القول بفصاحة اللفظ إلى فصاحة المعنى ، ثم تفاضلها طبقا لموقع هذه الفصاحة في القلب[2].

و مع ماسبق ذكره ، لم تفت نقاد القرن الرابع مثل هذه المسائل ، إذا لم يلبث الأمر كثيرا مع طروحات الرّماني و الخطابي حتى برز الباقلاني بنظريته في "التساوق الفني" أو "التعادل الفني " و مفادها أن القرآن الكريم معجز كله، كما أنه بكل آية و لا تفاضل في هذا الإعجاز من الناحية الفنية ، و الأمر المهم في جهود الباقلاني الأشعري هو وضوح الرئية في بناء الإعجاز على النّظم ، طبقا لتقسيم طرق الأداء، و يبني على آراء الباقلاني و عامة الأشاعرة في هذا الرأى ، نتائج لا جدال فيها و أهمها:

1-أن المعاني راجعة إليه تعالى، إلى صفة الكلام القديمة ، القائمة بنفسه ، و عليه فلا يجوز أبدا الضرب بالظن و الإحتمال و التخليط في إدراك هذه المعاني

---

[1]- أحمد سيد محمد عمّار،نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي، مرجع سابق ص 130

[2]- أحمد أبوزيد ،المنحى الإعتزالي في البيان وإعجاز القرآن ص160

2- أن الإعجاز بالظم باقيرغم تغير الظروف و الوقائع ، وتغير القراء و الأصوات و كيفية الكتابة ، لأن ذلك لا يدخل في مسمى الكلام القديم.

3-أن الطريق إلى الدلالات أو المدلولات، يجب أن يكون منسجما مع أصول الإجتهاد و الإستنباط الموضحة في كتب التفسير و الأحكام و أصول الدين.

4- أن القرآن صفة ذاتية، وليس فعلا كما يدعي المعتزلة.

5- أن القرآن جوهر واحد لا يقبل التجزئة من حيث هو صفة، وليس هو فعل مخلوق مركب من حروف منظومة و أصوات مقطعة ، يقدم بعضها بعضا، هذا من حيث الصورة أما من جهة اللغة ، فإن القرآن ،سور و آيات و حروف و ألفاظ و جمل ، عباراتها قديمة و صورتها حديثة ،فلا يمكن القياس على أصوات الناس و كتاباتهم لإستنطاق معانيه[1].

و لما كان الباقلاني من علماء اللغة و الأدب و البلاغة ، فقد ركز شرحه و إهتمامه على الوجه الأخير من وجوه الإعجاز ، فقد تحدث عن جمال نّظم القرآن الكريم حديثا ، طويلا، و لم يرضى الباقلاني أن يترك هذا الوجه دون أن يحدد سماته ، ويبين معالمه، وما قصده بالنّظم [2].

والمعجزة عند الباقلاني ،هو الصورة الباهر التى وجد عليها في القرآن الكريم و إتساقه مع سائر النظم القرآني إتساقا عجيبا و رائقا ، بينما الشعر أو النثر البشري قد يحتوي على التشبيه أو الإستعارة الجديدة ، و لكن يوجد إلى جوارها التعبير الساقط و اللفظ المبتذل فالباقلاني يرفض فكرة التوصل الى إثبات الإعجاز القرآني عن طريق ما فيه من البديع.[3]

يقول الباقلاني : " و منها ما يرجع إلى النظم ، و هو أنّه عجيب نظمه ، و بديع تأليفه ، لا يتفاوت ، و لا يتباين على ما ينصرف إليه من الوجوه التي يتصرف بها من

---

[1]- أحمد أبوزيد ، المنحى الإعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، ص 161

[2]- أحمد جمال العمري، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرآن السادس هجري ،دار المعارف القاهرة 1984ص 189

[3]- المرجع نفسه ص 190

ذكر قصص ومواعض و احتجاج و أحكام و أغدار ، و إنذار ، و وعد و وعيد و تبشير ، و تخويف و أوصاف و تعليم أخلاق كريمة و شيم رفيعة و سير مأثورة ، و غير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ، فنجد كلام البليغ الكامل ، و الشاعر المفلق ، و الخطيب المصقع يختلف بحسب اختلاف هذه الأمور فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجاء و غير ذلك[1] ."

ويقول الباقلاني إن هذه الوجوه البلاغية ليست معجزة في حد ذاتها و إنّما المعجزة في هذه الوجوه هو حسنها البالغ و سموها ، و إرتباطها و إتساقها مع بقية الكلام ثانيا ، على نحو بالغ الروعة و التكامل ، وذلك حتى لا يحس القارئ بأن قدر من التفاوت البلاغي في هذا الكلام الرباني الذي يساوي بعضه بعضا في البلاغة و الفصاحة[2].

وبناء على هذا فقد كان الباقلاني واسع الإدراك لنّظم القرآن الكريم، و كان محيطا ببلاغته و إعجازه و ذلك لأنه نشأ في عصر ترعرعت فيه العلوم البلاغية ، و إتخذت الدراسات الإعجازية صفة العلم القائم بذاته و ذلك إنفصلت عن التفسير، فوجدت دراسات خاصة بالبحث في إعجاز القرآن، ساعدت هذه الدراسات على وضع الأصول، و تحديد ماهية الإعجاز القرآني و بلاغته[3].

والمرحلة الأخيرة لمسار نظرية النظم عرفت إحتداما في النقاش ، مظهره العام نقدي ، لكنه في جوهره فكري و عقدي ، إذ تدخل القاضي عبد الجبار بموسوعته " المغنى" للإنتصار للرأي الإعتزالي في صفة القرآن ، أما عن فكرة النظم في حد ذاتها فالأراء متوافقة منذ الجاحظ ، بحيث تجمعت شتات المسائل و إكتملت الرئية في الدرس

---

[1]– المرجع سابق،ص 190

[2]– أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع هجري مكتبة الغانجيب القاهرة ص 214

[3]– عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن،مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله تونس 1980 ص 23

البلاغي، و كان الصراع الأخير حول جني الثمرة و تبنيها و بذلك ظهر الجرجاني مبدعا حين تولى جمع هذا الشتات و توحيده في إطار منضبط ، هو نظرية النّظم[1].

لقد إهتم عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" بالنّظم القرآني إهتماما كبيرا، و توسع في الحديث عن هذه النظرية ، و لهذا يعتبر هو المنظّر الأول لهذه النظرية بصياغاتها المتكاملة ، الذي تكاملت و نضجت على يده ، و عرف بها ،و أصبحت مرتبطة بإسمه ،وعلما عليها عند الإطلاق ، فلا تكاد تذكر نظرية النّظم إلا ويتبادر إلى الذهن إسم الجرجاني ، و ساعده في ذلك علمه باللغة ، و تبحره في النحو كما إنه إستفاد من كلام السابقين له ، كالجاحظ و الرماني و الباقلاني و القاضي عبد الجبار، ليكوّن نظريته في النّضم ، و يصوغها بمفهوم يتوافق معهم في جوانب ، و يختلف في جوانب أخرى.

لقد إعتمد الجرجاني في تقرير نظرية النّظم على جانبين:

الجانب العقلي و الجانب النفسي ، حيث إعتمد على العقل و المنطق و الأدلة لإثبات النّظم القائم على معاني النحو، ثم إلتفت إلى الجانب النفسي فأولى الحس عناية فائقة، و عوّل على الذوق كثيرا ، مراعيا الجانب النفسي و أثره في إدراك أسرار العربية، و جمالها الرفيع ، و أول ما يبدأ به الجرجاني حديثه عن النّظم تعريفه ،حيث قال في المقدمة " معلوم أن ليس النّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعظها بسبب من بعض" ويعد هذا التعريف بصياغة أخرى يربط بينه وبين النحو ، ليجعل تعليق الكلم بعضها ببعض هو عبارة عن إجراء قوانيين النحو و أصوله في الربط بين الكلمات و الجمل ، فيقول في ذلك " وإعلم أن ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو ، وتعمل على قوانيينه و أصوله ، و تعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها ، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخلّ بشئ منها[2] "

---

[1]– أحمد أبوزيد ، المنحى الإعتزالي في البيان وإعجاز القرآن ص 164

[2]– أحمد بن عبد الرحمن بن حسن العاكش،النظم القرآني بين المعتزلة والأشاعرة ص11

وبعد هذا التعريف و ربطه بالنحو ينطلق الجرجاني في تقرير نظريته في النّظم ، القائمة على أن المعتبر و المزية في النّظم راجعة إلى المعاني و ليس إلى الألفاظ ، و يحاول ترسيخ هذا المفهوم في ذهن القارئ بشتى الأدلة ، فتارة يقرر نظريته هذه إبتداء إيرد عليه،و تارة يرد على القائلين بأن المزية للفظ لا للمعنى، وتارة يورد بعض الآيات و يكشف عن سر جمال النّظم فيها العائد إلى المعاني ، بأدلة العقلية اللغوية ، أو الأدلة الذوقية النفسية .

ويقول الجرجاني " لا يتصور أن تقول للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه ، ولا أن تتوخّى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا و نظما ، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني، و تعمل الفكر هناك ، فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ و قفوت بها آثارها ، وإذا فرغت في ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنّها خدم للمعاني ، و تابعة لها، ولاحقة بها ، و أن العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بمواقع الألفاظ الدّالة عليها في النطق".[1]

ويمضي الجرجاني في ترسيخ فكرته هذه و نظريته في النّظم فيعقد فصلا بعنوان "فصل في أن مزيّا النّظم بحسب الموضع ، و بحسب المعنى المراد ، و الغرض المقصود ، قال فيه : "و إذا عرفت أن مدار أمر النّظم على معاني النّحو و على الفروق و الوجوه التي من شأنها أن تكون فيه ، فاعلم أن الفروق و الوجوه كثيرة ، ليس لها غاية تقف عندها ،و نهاية لا تجد لها إزديادا بعدها".[2]

"ثم إعلم أن ليست المزيّة بواجبة لها في أنفسها ، و من حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بسبب المعاني و الأغراض التي يوضع لها الكلام ،ثم بحسب موقع بعضها من بعض ، و إستعمال بعضها مع بعض".[3]

---

[1]–أحمد بن عبد الرحمن بن حسن العاكش،النظم القرآني بين المعتزلة والأشاعرة، مرجع سابق ص 11

[2]– المرجع نفسه ص 12

[3]– المرجع نفسه ص 12

ويكرر هذا في أكثر من موضع و يؤكد للقارئ أن "النّظم و الترتيب في الكلام ... عمل بعمله ، مؤلف الكلام في المعاني لا في الألفاظ"[1]

يربط الجرجاني بين " أصول النحو " و "النّظم " يقول " توخي معاني النحو و أحكامه ووجهه فيما بين معاني الكلم أي أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و أصوله و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها".[2]

و يشرح ما يعنيه" بالنّظم "فيقول "معلوم أن ليس النّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض، و الكلم ثلاث:إسم وفعل وحرف ، و للتعليق فيما بينها طرق معلومة ، وهو لا يعدوا ثلاثة أقسام :

1-تعليق إسم بإسم

2- تعليق إسم بفعل

3- و تعليق حرف بهما[3]

ويفرق الجرجاني بين الحروف المنظومة و الكلم المنظوم فيقول "إن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط و ليس نظمها بمقتضى عن معنى ، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل ، إقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحرّاه ، فلو أنّ واضع اللغة كان قال " ربض " مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد ، و أما نظم الكلم فليس فيه الأمر كذلك ، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني و ترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النّظم الذي معناه ضمّ الشئ إلى الشئ كيف جاء و إتفق و كذلك كان عندهم نظيرا للنسج و التأليف، و الصياغة و البناء ، و الوشي ، والتحبير ، وما أشبه ذلك مما يوجب إعتبار

---

[1]- المرجع نفسه ص 12

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،تحقيق محمود محمد شاكر ص 342

[3]- المرجع نفسه ص 26

الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لكل وضع حيث وضع علّة تقتضي كونه هناك ، وحتى ولو وضع في مكان غيره لم يصلح".[1].

من خلال هذا النص نجد التمايز واضحا بين نظم الحروف و نظم الكلم إذ إن الأول ترتيب شكلي ، يعود لمرجع عقلي ، إذ لا يتعدى أن يكون تواضعا و إصطلاحا من أهل اللغة ،في حين تنّظيم الكلم يكون وفق تريب معين حسب قصد المتكلم و غرضه من التأليف بحسب المعاني التي تختلجه و السيّاق الذي يقتضيه ، ومن ثم يصل إلى مراده بإنتهاج كلا السبيلين: الشكلي ( اللفظي )، و النفسي (المعنوي)، وهنا يبدوا عبد القاهر الجرجاني مقتفيا أثر مذهبه السّني الأشعري ، فالأشاعرة يرون أنّ" الكلام نوعان نفسي و لفظي ، و الكلام النفسي بالنسبة إلى الله هو القديم و من أجل ذلك فقد إستهدف عبد القاهر من نّظريته في النّظم بيان أن جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفسي و أما الكلام اللفظي فهو ظل لهذا الكلام النفسي"[2]

وفي سياق رده على القائلين بالمزية للفظ يقول " و مما نجدهم يعتمدونه و يرجعون إليه قولهم :

إن المعاني لا تتزايد ، وإنما تتزايد الألفاظ ، وهذا كلام إذا تأملته لم تجد له معنّى يصحّ عليه غير أن تجعل تزايد الألفاظ عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النحو و أحكامه فيما بين الكلم، لأنّ التزايد في الألفاظ من حيث هي ألفاظ و نطق لسان محال"[3]

و نّظرية النظم عمادها ثلاثة أركان :

1-دقة التركيب

2- سلامة اللفظ

3- إفادة المعنى

---

[1]- درويش الجندي، نظرية عبد القاهر الجرجاني في النّظم، مكتبة النهضة مصر 1984 ص 47

[2]- المرجع سابق ص 47

[3]- أحمد بن عبد الرحمن بن حسن العاكش،النظم القرآني بين المعتزلة والأشاعرة ص 14

فدقة التركيب يعني إقامة النظم على النحوية و الأسلوبية و قد أقام الجرجاني فكرة النظم أصلا على قواعد الإعراب أو النحو .

إفادة المعنى : هو المقصد الأسني إذا الألفاظ يعرفها العربي و العجمي و إنما يتفاضل الناس في إدراك المعاني ، و المعنى الذي جعله عبد القاهر محورا للنظم هو المعنى الصوري أو المعنى المصور في النفس.

فالمعنى الذي هو جوهر الكلام عنده ، و الذي تنسب إليه مزية النّظم ليس هو المعنى الغفل الخام ، و إنما هو المعنى الذي تشكل في النفوس بشكل خاص، ونظم ، و النّظم فيها نظما خاصا هو صورة المعنى ، لا المعنى المجرد من الصورة"[1]

وأخيرا يقرر أن النّظم بهذه الصفة هو الدليل على إعجاز القرآن الكريم ، و أن من أبا إعتبار المزية في نّظم المعاني فعليه أن يبحث عن وجه آخر في الإعجاز القرآني ،أو يلحق بأصحاب الصرفة ، فيدفع الإعجاز من أصله فيقول: " فإذا ثبت الآن أن لا شك و لا مرية في أن ليس النّظم شيئا غير توخي معاني النحو و أحكامه فيما بين معاني الكلم ،ثبت من ذلك أنّ طالب دليل الإعجاز من نّظم القرآن ، إذا هو لم يطلبه في معاني النحو و أحكامه فيما بين معاني الكلم ،ثبت من ذلك أنّ طالب دليل الإعجاز من نّظم القرآن ، إذ هو لم يطلبه في معاني النحو و أحكامه و وجوهه و فروقه ، ولم يعلم أنها معدنه و معانه و موضعه و مكانه ، و أنه لا مستنبط له سواها ، و أن لا وجه لطلبه فيما عداها .... و أنه إن أبا أن يكون القرآن معجز بنظمه ، ولزمه أن يثبت شيئا آخر يكون معجزا به ، و أن يلحق بأصحاب الصرفة فيدفع الإعجاز عن أصله ، وهذا تقرير لا يدفعه إلا معاند، يعّد الرجوع عن باطل قد إعتقده عجزا و الثبات عليه من بعد لزوم الحجّة جلدا ، ومن وضع نفسه في هذه المنزلة كان قد باعدها من الإنسانية و نسأل الله تعالى العصمة و التوفيق"[2]

فالأشاعرة مسمى الكلام عندهم هو المعنى و قالو: كلام الله تعالى قسمين:

---

[1]– أحمد أبوزيد،المنحى الإعتزالي في البيان وإعجاز القرآن ص 165

[2]– أحمد بن عبد الرحمن بن حسن العاكش،النّظم القرآني بين المعتزلة والأشاعرة ص 16

الأول: الكلام المركب من الحروف و الأصوات ، فهذا مخلوق محدث ،و هو القرآن الكريم القسم الثاني: الكلام النفسي ، الذي لم يزل مع الله تعالى ، وهو جوهر واحد لا تركيب فيه و لا يتعيض ، وهذا الكلام هو كلام الله القديم الذي يتصف بالإعجاز ، وعلى هذا الأصل أسسوا نظريتهم في إعجاز القرآن الكريم ، وبنوا القول في نظرية النّظم ، فقالوا إن المزية ليست في الجانب المادي من الكلام ، ليس في هذه الحروف المركبّة و الأصوات المنظومة ليست في نظم الألفاظ ، وإنما هي في نظم المعاني.

وبهذا أقيمت البلاغة على قواعد نظرية النّظم ، المؤسسة على قصة الإعجاز القرآني بتراكيبه وأسلوبه ومعانيه ونضجت المباحث لتستوي فنا متميزا بفروع ثلاث هي: البيان والمعاني والبديع وباستوائها سترت صراعا إعتزاليا أشعريا إمتد أ كثر من قرن من الزمان.

**خاتمة :**

وفي ختام هذا البحث طرحنا تصورا مفاده أن نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني هي نظرية علمية بالمعنى الحديث ، وتعد هذه النظرية من أبرز أوجه الإعجاز القرآني الكريم بالاتفاق العلماء الذين صنفوا في إعجاز القرآن فقد كانت أهم النتائج المتوصل إليها، كالتالي:

- تميزت اللغة العربية بعدة خصائص أَهَّلتها لتكون اللغة الحاملة لهذا النص العظيم، وهي على كل إبداع سواه أقدر.

-النص القرآني رغم ما فيه من تقاطعات مع النصوص الإبداعية البشرية من ناحية اللغة والصور وطرق التعبير إلا أنه قد فاق تلك النصوص جميعا بعدما ظن أهلها أنها متَّلت القمة في الفصاحة والبيان ودون جدوى حاولوا فهم سرّ هذا الكلام العجيب.

- لقد شكل النص القرآني ولا يزال نصا محوريا في تاريخ الثقافة العربية، لذلك يمكن أن نصف الحضارة العربية بأنها حضارة" النص"، بمعنى أنها أنبتت أسسها وقامت علومها على أساسٍ لا يمكن تجاهل مركز" النص "فيه.

- أصبح الاهتمام بالإعجاز القرآني في القرن الثالث ضرورة حتمية، بعد التغيرات التي حدثت في الأمة الإسلامية؛ خاصة بعد ضعف اللسان العربي بسبب اتساع رقعة الإسلام ودخول الأجناس المختلفة تحت مظلته، فلم يعد للقرآن الكريم نفس الوقع كما كان في عهده الأول حين كانت اللغة العربية في أزهى عصورها.

- التيارات الفكرية التي ظهرت في العصور الأولى للإسلام، كان لها الأثر الكبير في إثراء الساحة الفكرية والنقدية والبلاغية، حيث حاولت كل طائفة أن تفهم هذا النص بما يتفق مع المعتقدات الخاصة بها، فقدمت عدة إجراءات لقراءته، وكونت لنفسها منظومة مصطلحية تميزها عن بقية الطوائف.

- فأثار البحث الإعجازي عدة قضايا؛ أصبحت فيما بعد قضايا جوهرية في النقد والبلاغة، كقضية اللفظ والمعنى وقضية المجاز، ومستويات البلاغة...

من بين أهم النظريات الإعجازية، نجد:

✓ نظرية الصرفة :وهي التي أثارت جدلا كبيرا، لما جاء بها النظام المعتزلي، حيث يرى أن بلاغة القرآن ممكنة، لكن الله صرف الناس عنها، لكن هذا الرأي رغم انتشاره لدى بعض المعتزلة، كالشريف الرضي، والرماني، إلا أنه لم يستطع أن يثبت لنفسه ما يدعيه، فتوالت الردود حتى من المعتزلة أنفسهم.

✓ الإعجاز البلاغي :وهو الذي يرى أن إعجاز القرآن كامن في بلاغته التي لا تدانيها بلاغة، وهذا الرأي هو الأكثر اتساعا.

✓ الإعجاز بالنظم :وهو الرأي الذي تفرد به عبد القاهر الجرجاني ، حتى وإن وجدنا هذا المصطلح عند غيره، كالجاحظ والباقلاني، إلا أنه لا يعني لديهما مثل ما يعنيه لدى الجرجاني.

✓ إضافة إلى وجوه إعجازية أخرى تعددت وتنوعت، حتى أصبحت كل ميزة وكل أسلوب وكل موضوع احتواه القرآن، يمثل نظرية إعجازية،

فظهر الإعجاز القصصي، والإعجاز اللغوي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التربوي،...

✓ رغم ذلك لا يمكن القول أن هذه النظريات قد تمكنت من الوصول إلى سر الإعجاز القرآني الذي ظل وسيظل سرا أبديا.

تعد نظرية النظم التي جاء بها الجرجاني، أهم نقاط التطور التي وصل إليها الدرس الإعجازي، وهي نظرية حاول صاحبها عن طريقها تفسير الإبداع عموما.

أما الدارسات الأخرى ورغم ثراء مادتها العلمية، إلا أنها دراسات بلاغية اهتمت بالجانب البلاغي، لذلك يمكن القول أن مفهوم الإبداع من خلال هذه الدراسات، كان يتجلى في المفاهيم البلاغية، التي شكلت الإطار العام له.

**قائمـــة المصادر والمراجع :**

**القرآن الكريم**


1 -ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية بيروت ط1 1982 .

2 -أبو إسحاق إبراهيم ابن علي الحصري القيرواني, زهر الآداب وثمر الألباب، ت ح يوسف علي طويل ،دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان1417 هـ 1997 م، طبعة1،ج2

4-ابو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين

5-أبو الحسن الرماني علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز.

6 -أبو الحسن علي بن يوسف القحطي ، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج2، دار الفكر العربي القاهرة ، ط1،1982

7- أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز

8- أبو عبد الملك ابن هشام ابن أيوب الحميري المعافري،السيرة النوبية ، تحقيق مصطفى السقة وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 2001

- 9-أبو الفدا اسماعيل بن عمرو بن كثير ، البدية والنهاية ، تح علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ط1 1998 ، ج1

10-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الحيوان ، تح ، عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت لبنان، 1416 هـ 1996 م خ4

11-أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني ، إعجاز القرآن ، تح أحمد سقر ، دار المعارض مصر ، د.ط .د.ت

12-احمد ابو زيد المنحى الإعتزالي في البيان و إعجاز القرآن ،مكتبة المعارف الرباط ط1 1982م .

13-أحمد الداوودي شمس الدين ، طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية 1403هـ-1983، ط1

14-أحمد بن عبد الرحمن بن حسن العاكش، النظم القرآني بين المعتزلة و الأشاعرة ، كلية الشريعة وأصول الدين ،جامعة الملك خالد بأبها ،المملكة العربية السعودية.

15-أحمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها و تطورها حتى القرن السابع هجري مكتبة الغانجي بالقاهرة. أحمد الداوودي شمس الدين ، طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية 1403هـ-1983، ط1

16-ام الخير بن الصديق ،مذكرة تخرج لنيل الماجستير النظرية النحوية عند الجرجاني و تطبيقها في المقررات اللغوية التعليمية لاقسام السنة الثانية ثانوي ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة كلية الادب و العلوم الانسانية ،قسم اللغة العربية و آدابها تخصص لسانيات اللغة العربية و تعليمها

17-أمير منها ، علي خريس ، جامع الفرق و المذهب الإسلامية ط2 المركز الثقافي العربي ،بيروت 1994

18-الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب ، التقريب و الارشاد الصغير ، تحقيق عبد الحميد علي أبو زيد ط 1 ، مؤسسة الرسالة 1993

19-تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس ، مجموع الفتاوي ، تح أنور الباز عامر الجزار ، الناشر : الدار الوفاء ، ط3 ، 1426 هـ - 2005 م ، ج7 ،

20-تمام حسان ،دراسة أبستمولوجيا للفكر اللغوي عند العرب عالم الكتب 2000

21-جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن تح : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، د.ط ، د.ت ج2 .

22-كمال الدين الأنباري ،نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار الزرقاء الأردن ،ط3،1405هـ-1985م

23-جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري , لسان العرب دار صادر بيروت ، دط ، د.ت ، ج5
24-درويش الجندي، نظرية عبد القاهر الجرجاني في النّظم ، مكتبة النهضة مصر 1984
- 25-أبو الحسن علي بن يوسف القحطي ، أنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج2، دار الفكر العربي القاهرة ، ط1،1982
26-سلطان منير، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة ،منشاة العارف الإسكندرية ط3،1986
27-الشريف المرتضي ، علي بن الحسين الموسوي ، الموضح عن جهة إعجاز القرآن – الصرفة – ، تح : محمد رضا الأنصاري القمي ، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأساتذة الرضوية المقدسة ، ط1 ، 1424 هـ ،
28-عبد الرحمان بن معاضة الشهري ، القول بالصرفي في إعجاز القرآن – عرض ونقد – دار بن الجوزي ط1 ، 1436 هـ
29-عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،تحقيق محمود محمد شاكر ط1 ،دار المدني السعودية 1992، .
30-عبد القاهر بن الطاهر بن محمد بن البغدادي أبو المنصور الفرق بين الفرق وبيات الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط2، 1977.
31-عبد الكريم الخطيب ،الاعجاز في دراسات السابقين ،دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ،ومعايرها ط2 ملتزم الطبع و النشر دار الفكر العربي1984
32-عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تح : السيد أحمد سقر ط2، 1973
عدنان محمد زرزور ، علوم القرآن وإعجازه – وتاريخ توثيقه دار الإعلام – عمان الأردن ط1 2005.
33-علي بن اسماعيل الأشعري ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلبين، تح هلموت ريتر دار إحياء التراث العربي بيروت ط3

34-عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن ، مؤسسته عبد الكريم بن عبد الله تونس 1980.

35-فؤاد علي مخيمر مخيمر ، فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، 1983

36-فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ، تح مصر الله الحاجي ، دار صادر بيروت ، ط1 ، 1224 هـ - 2004 م ، ص 29

37-كمال الدين الأنباري ،نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار الزرقاء الأردن ،ط3،1405هـ-1985م

38-محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تح أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط1 2000

39-محمد بن عبد الرحمان الخميس، اعتقاد أهل السنة شرح أهل الحديث، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط1، 1419 هـ،

40-محمد بن عبد العزيز العواجي ، إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام بن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1 1427 هـ

41-محمد حسين بن عقيل موسى ، إعجاز القرآن بين الأمام سيوطي والعلماء , دراسة نقدية ومقارنة , دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع ، جدة ، ط1 ، 1418 هـ 1997 م

42-محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، ط3 دار المعارف مصر

43-محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام اثر القرآن في تطور النقد العربي الى اخر القرن الرابع هجري ط3 دار المعارف

44-محمد خلف الله أحمد، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى أخر القرن الرابع هجري ط3 دار المعارف 1986

45-محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر هجري، ط1 دار المعارف مصر

46-محمد مفتاح ، المقصد و الاستراتيجية ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ،سلسلة بحوث و مناظرات ،دار البيضاء 1993

47-محمود السيد محمد مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، الناشر : مؤسسة شباب الجامع ، ط1 ، 1981.

48-مصطفى ناصف نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس للطباعة و النشر ط1 1997

49-مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، سلسلة عالم المعرفة 1997

50-منير سلطان ،إعجاز القرآن بين المعتزلة والاشاعرة، الطبعة الثالثة منشأة المعارف الاسكندرية 1986

51-وليد قصاب، التراث النقدي و البلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس هجري ، دار الثقافة الدوحة 1985.

52-يحي بن علي بن ابراهيم العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة معلوم حقائق الإعجاز مطبعة المقتطف مصر 1333 هـ ،